المفهوم الجغرافي للقرية فى رواية "الحرب فى برّ مصر" ١٩٧٨م للكاتب "يوسف القعيد"

- دراسة فنية نقدية -

أ.م.د. إيمان فؤاد بركات

قائم بعمل رئيس قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – جامعة دمنهور

مصـــر

الاستلام	٢٠١٨/٥/١٩	المراجعة	٢٠١٨/٧/٦	النشر	٢٠١٨/٨/٣١

ملخص:

احتلت القرية المصرية مساحة كبيرة فى السرد الروائى المعاصر، حيث احتفظت بصورتها الخاصة وواقعها المتناقض ومضمونها الإنسانى الشامل، الذى ينفتح بنعومة وثبات على تكويناتها الدقيقة وثقافتها الحاملة ظلالها والمتجسدة عبر تاريخها الطويل فى تعدد ثقافتها.

وقد حاول الكاتب (يوسف القعيد)، أن يقدم هذه السمات المتنوعة عن القرية فى روايته "الحرب فى بر مصر" ١٩٧٨م.

والتي احتفظت بشكلٍ خاصٍ فى الأداء الفنى لها، لأنها احتفظت بصورةٍ تفصيليةٍ ووصفيةٍ لواقع القرية فى مركز إيتاى البارود، اعتمد فيها الكاتب على مرجعياتٍ حضاريةٍ وثقافيةٍ عن عالم القرية، عبرت هذه المرجعيات عن مفهوم القرية عند الكاتب.

وقد اعتمد (يوسف القعيد) فى وصف القرية على صورتين:

الصورة الأولى: المعرفة الجيدة بموقعها والمعلومات الشاملة عنها، من خلال الخريطة الجغرافية المكونة لها.

وأما الصورة الثانية: فقد أشارت إلى الإلمام بالمحتوى الثقافى لها، وذلك عن طريق توظيف شخصيات متنوعة تحمل وضعيات وكيفيات اجتماعية واقتصادية وثقافية فى القرية.

قامت الرواية على هاتين الصورتين اللتين جمعتا بين الشكل أو الإطار الخارجى للقرية، والمضمون الداخلى لها.

فتجسد مفهوم القرية وهويتها من خلال البعد الجغرافى المحدد لها، والذى وصف الأماكن والطبيعة المناخية والبيئية، وأثرها فى تشكيل ملامح الشخصية.

ظل يوسف القعيد مرتبطاً ومحتفظاً فى خطابه الروائى بصورةٍ تفصيليةٍ عن القرية، التى شكلت جغرافيته الخاصة وخريطته الفنية، فقدمت روايته صورة مختلفة فى التوظيف الفني تنطلق من التركيز والتمثيل السردي للقرية بكل تفصيلاتها التى تداخلت فيها العناصر المكونة للقرية، لذلك اعتمد السرد على عناصر "الإدراك"، أو التنوع فى "الصورة الإدراكية" فى شكل ديناميكي يعتمد على التكرار المشدد لبعض الصور والأماكن الخاصة فى القرية.

والتى أشارت بدورها إلى مفهوم جغرافيا الإدراك الذى يكتشف جماليات الخريطة الطبيعية للقرية وارتباطها بالأبعاد السيكولوجية للشخصية، وهذا ما يحاول أن يقدمه البحث فى المفهوم الجغرافى للقرية فى رواية الحرب فى بر مصر، والذى يتلخص فى الدور البارز الذى يمثله الإدراك فى تشكيل صورة القرية، ورسم قسماتها، وإبراز تلك السمة الثقافية المتجددة من عمق التراث، والمرتبطة بثقافة الأرض.

الكلمات المفتاحية:

القرية، الجغرافيا، الصورة المعرفية، الصورة الإدراكية.

The geographical concept of the village

At the novel "The War in the Land of Egypt" 1978 by: Yousef al-Qa'id

A Critical & Technical Study

Dr. Eman F. Barakat

Associate Professor

Acting Head of Arabic Language and Literature Department

Faculty of Art, Damanhour University

Egypt

Received	19/5/2018	Revised	6/7/2018	Published	31/8/2018

Abstract:

The Egyptian village occupied a wide area in the contemporary narrative literature. It retained its own image, its contradictory reality and its comprehensive human content which reflects smoothly and consistently its delicate formation and culture and bears its shadow that is reflected throughout its long history and its multiple cultures.

The writer Yousef al-Qa'id tried to represent these varied features about the village in his novel "The War in the Land of Egypt 1978".

His novel has retained a particular shape in the performance and the artistic and communicative function. This is because it kept a detailed and descriptive image of the reality of the village in the given village called Itai al-Baroud. The author relied on cultural references about the village's world. These references expressed the concept of the village existing in the writer's mind.

Yousef Al-Qa'id has adopted the description of the village by portraying two images:

The first image: It is about the good knowledge of the location of the village and the comprehensive information about it through its geographical map.

The second image: It pointed to the knowledge of the cultural content of the village through the employment of diverse personalities living in the village with different social, economic and cultural characteristics and patterns.

The novel is based on these two images, which combined together form the shape or the external geographic frame of the village and its internal content.

The concept of the village and its identity is embodied through the geographical dimension specific to it which describes the places, the climatic and the environmental nature together with their impact on the shaping of personal identities.

Yousef Al- Qa'id kept in his narrative style a detailed image about of the village that formed his own geographical and artistic map. His novel represented a different picture in the artistic view, which stems from the concentration and the narrative representation of the village with all its details, where the elements representing the village were intertwined. Therefore, narration depended on the elements of "cognition" or "perception". In other words, narration depended on the diversity of the "cognitive image" or the "perceptive image" in a dynamic form which is based on the intensive repetition of some images and special places in the village.

This, in turn, refers to the concept of "the geography of cognition and perception", which reveals the aesthetics of the natural image of the village and its relation to the psychological dimensions of the personalities. This is what the research in the geographical concept of the village tries to represent in relation to the novel of The War in the Land of Egypt. The research can be summarized into a discussion about the prominent role represented by cognition and perception in shaping the image of the village, reflecting its characteristics and making prominent the renewable cultural characteristics generated from the depth of heritage and associated with the culture of the Land.

Keywords:

The village, the geography, cognitive image, perceptive image.

تُمثل القرية المصرية بعدًا استراتيجيًا كبيرًا فى تاريخ مصر على المستوى الحضاري والإنساني؛ ذلك لأنها تحمل خصائص طبيعية وحضارية تفرّدت بها دون غيرها على اعتبارها ركيزة المجتمع المصري، ومحور ثقافته، لما تتميّز به من مواردٍ طبيعةٍ وقيّميةٍ، شكلت شخصيتها، وأعطتها قدرةً فطرية عميقة فى الإنتماء إلى بيئتها، وعالمها الذى شكّل حياتها، وشخصيتها.

فتفرّدت القرية بهذه الخلفيات الحضارية والثقافية التي اختزلت حياتها وتاريخها، والتي قد تتراجع بعض قيّمها بسبب أحداثٍ عاشتها، وهاجمت أوضاعها، خاصة بعد قوانين الإصلاح الزراعي، التي عكست حقيقة الواقع فى ذلك الوقت.

فانغمست القرية فى جوٍ شديد التوتر بين المُلاك والمستأجرين، وتسرب إليها حالة من القلق المتعلق بمصير الأفراد، وهذا المزيج الاجتماعى والثقافى الذى جسّد حالة الصراع فى تلك الفترة التاريخية.

فقد أحدثت قوانين الإصلاح الزراعي تباينًا واضحًا، يشير إلى حدثٍ كبيرٍ فى التحوّل فى الريف المصري بعد هذه القوانين، التي أدت إلى خلق صراعٍ شديدٍ بين مُلاك الأرض ومستأجريها، كذلك أدت إلى تحول فى العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية والأخلاقية والثقافية.

وفى استراتيجيةٍ متميزة فِى التجريب الروائي المعاصر تعتمد على تجسيد هذا الحدث فى أبرز صورةٍ له فى الخطاب الروائي، قدم الكاتب (يوسف القعيد)، روايته: "الحرب فى برّ مصر ١٩٧٨م" بصورةٍ مختلفةٍ عن باقي أعماله الأخرى، التى خرجت من معطف القرية المصرية، فاعتمد فى هذه الرواية على مفردات القرية بصورةٍ كبيرةٍ من حيث تركيبها الطبيعي والبشري: عناصرها وخصائصها، ومشكلات التحوّل فى الريف المصرى، فعبر عن حياتها وثقافتها وهويتها الاجتماعية، وأزماتها التى نسجت ملامح الشخصية، ومن خلال التعريف بكل مكوّناتها وخصائصها تفرّدت الرواية بتقديم صورة واضحة المعالم لقرية "الدهرية" مسقط رأس الكاتب، توفرت فيها تكويناتها البيئية والطبيعية والسكانية، وصدى الحدث الهام الذى يقدمه الكاتب، وما خلقه من مظاهر النفعيّة والسيطرة، وحُلم الأرض، الذى ظلّ يراود كلّ الشخصيات فى الرواية.

ولم يكن (القعيد) أول من تناول مجتمع القرية المصرية فى السرد الروائى، فقد سبقه:

(محمد حسين هيكل) عام١٩١٤م فى روايته "زينب"، والتي كانت الأولى من نوعها فى تصوير عالم القرية، ثم تلاحقت أعمال أخرى مثل رواية: "الفتاة الريفة" ١٩٢٤م للكاتب (محمود خيرت)، وقدم (توفيق الحكيم) "يوميات نائب فى الأرياف" ١٩٣٧، وقدم (عبد الرحمن الشرقاوي) روايته "الأرض" ١٩٥٤م.[١]

وقدم (القعيد) عن القرية الكثير من الأعمال الروائية، منها: رواية "أخبار عزبة المنسى" ١٩٧١م، ورواية "أيام الجفاف" ١٩٧٣م، ورواية "البيات الشتوي" ١٩٧٤م، ورواية "يحدث فى مصر الآن" ١٩٧٧م، ثم روايته "الحرب فى برّ مصر" ١٩٧٨م.[٢]

وقد اتخذ هؤلاء الكتاب من عالم القرية مسرحًا للأحداث، فوصفوا القرية وبيئتها وثقافتها وعاداتها، وبعض المشكلات الاجتماعية، وكذلك فعل القعيد فى معظم أعماله عن القرية.

أما روايته "الحرب فى برّ مصر"، فقد اختلفت عن غيرها فى عرضها لأحداث القرية، لأنها دققت فى كل تفاصيلها، باحثةً عن أثرِ الأحداث فى المصير الإنسانى، ومن خلال رصد الواقع وقراءته امتزجت الرؤية بين الواقعي والنفسي، فاستطرد الكاتب فى عرض واقعها، مقدمًا مفهوما جغرافيا للقرية، متخذًا من بنيتها الطبيعية والبيئية ركيزة محورية لرصد ذلك الخلل السياسي والاجتماعي فى تلك الفترة التاريخية، التى نتج عنها افتقار الحياة إلى العدالة الاجتماعية فى مجتمع القرية.

وللتحقق من المفهوم الجغرافي للقرية فى الرواية، يتبنى البحث رؤيته لها من خلال خريطتها المعروفة تاريخيا بـ: عناصر القرية وخصائصها، ثم وقع أحداث التحوّل والتغيّر فى المنظومة الاجتماعية والثقافية فى القرية على ملامح الشخصية، وهو البعد السيكولوجي، أو الشخصي فى رسم صورة داخلية لما يحدث حولنا، صورة تؤثر على أفعال الشخصية، وطريقتها فى التفكير.

وبذلك تشكلت القرية من هذا المخزون التاريخي لها، والذى قدمه (القعيد) فى خطوطه التي لم تمح من ذاكرته باعتباره أحد أبناء قرية "الدهرية" مركز إيتاي البارود، فشكل هذا الملمح حالة للتعايش الحقيقي، تلك التي جعلته يقدم حدثًا تاريخيًا كبيرًا فى حياة قريته، وفى تاريخ القرية المصرية بصفةٍ عامةٍ.

يأتى هذا الحدث التاريخى، متجسدًا فى روايته "الحرب فى برّ مصر"، والتي يتوقف عندها البحث بصفةٍ خاصةٍ، فى قراءةٍ تحليليةٍ نقديةٍ، تعتمد على المنهج الفني، الذى يدرس مجموعة الأنظمة الفنية فى الرواية، مثل: (الحكي، والشخصيات، واللغة والحوار)، فيقوم المنهج الفني على دراسة هذه الأنظمة السردية فى تعاملها مع نشاطات السياق الجغرافي، الذى توفر من خلال الصورة البصرية لكل ما هو قريب منها، فوصفت الأماكن، والطبيعة، والأحداث، فقدمت الرواية لغة فكرية متميّزة عند (يوسف القعيد)، تقوم على خلق علاقات جديدة من خلال تجربةٍ فنيةٍ تعبر عن الحدث فى إعادة تشكيله من وجهة نظر المؤلف، فيرصد الكاتب رؤية متكاملة للحدث فى كافة زواياه الفنية والدلالية.

فيحاول البحث أن يبرز رغبة الكاتب فى التعبير عن الرفض، وتعنيف الواقع؛ فكان ابتكاره لقوة التركيز الجغرافى فى وصف القرية، وتقديم صورة واضحة المعالم لها فى أدق تفاصيلها، وبنيتها الطبيعية والإنسانية والاجتماعية؛ لتتجلى من خلال الخريطة الجغرافية لها أزمتها الاجتماعية، والإنسانية التي أثرت على الشخصية.

فتجسدت أبعاد التحوّل فى شخصية القرية من خلال الاعتماد على مفهومٍ شاملٍ لجغرافيتها، يتركز فى الرواية فى البعد السكاني: لتباين فى الطبقات الاجتماعية، والبعد الطبيعي: الموارد الطبيعية فى القرية.

فقامت الرواية بصفةٍ عامةٍ على هذين البعدين، وأثرهما على الشخصية بمختلف أنواعها.

وعبر المتخيَّل السردى الذي جمع بين أبعاد القرية، برزت العلاقة بين أثر هذا الحدث التاريخي على الإنسان، وعلى حياته، وملامحه النفسية والمعيشية، ومن هنا تكمن الرؤية التفسيرية والتحليلية للارتباط البدائي بين الشخصية وواقعها، وتتشكل جغرافيا الإدراك فى الرواية.

جغرافيا الإدراك أو جغرافيا الإحساس:

تقوم هذه النظرية الجديدة على استكشاف نظرية "الأرض اللابديهية، أو جغرافيا الإدراك، وهذا النوع من الدراسات التحليلية يرى فاعلية الأرض مع الذات البشرية، وأثرها فى الوعى الداخلى عند الإنسان".[٣] فتقدم جغرافيا الإدراك صورة أخرى للأرض، ليست هي صورتها الطبيعية، لكنها صورة تتكون فى الوعى الداخلي للشخصية، تتوفر فيها كل مُقومات الجمالية، التى ترى صدى الأرض فى الذات والمشاعر، مما جعلها تأخذ بعدًا مختلفا، يتوفر فيه حياة الإنسان بكل جوانبها.

وقد ترجمت رواية (القعيد) هذا البعد الجغرافى الجديد: (جغرافيا الإحساس) أو الإدراك للعقول البشرية فى اعتماده على كل مُعطيات القرية، وتوظيف وقع العالم الخارجي بصوره المختلفة على الإنسان".

إن وقع العالم على حواسنا - وهو مصدر معرفتنا - ينتج لنا أفكارا وصورًا، وليست هذه الأشياء والصور موجودات موضوعية خارج ذواتنا؛ بل هى تُمثل مفردات الواقع وظواهره، تلك التى يدركها الإنسان ليس من خلال صورها الموضوعية فى الواقع، ولكن من خلال ارتسام صورة أخرى لها، قد لا تطابق صورتها الخارجية، وإنما تُطابق

الإحساس بها فى نفسه وبجماليتها، ويأتي هذا كله من خلال: التعرّف والإدراك ثم التقويم".[٤] وهذا ما تقصده جغرافيا الإدراك فى الرواية فى تفسيرها لوقعِ الأشياء والأحداث فى حيّز الوعى والإدراك الداخلى.

وقد اتسعت رواية "الحرب فى برّ مصر" لتحمل هذه الرؤية المتميّزة، وذلك من خلال توظيف حمولات القرية فى شكلها الواقعى: (التعرُف) على: الطبيعة وأشياء الواقع وظواهر المجتمع، ثم وقع هذه الأبعاد على السلوك (الإدراك)، فتتداخل المناظر الطبيعية والحضارية، والعناصر المكوّنة للقرية فى مواقفٍ هامةٍ فى حياة الإنسان، فيشكل لها بعدًا آخرًا قد يكون حسنا أو قبيحًا، يقيّم فيه الأحداث.

وقد تمركز السرد حول هذه المفردات البيئية والبشرية التى قدمها الوصف التفصيلى فى الرواية، فمثَّلها فى كل مشاهد الرواية، بطريقةٍ مبالغٍ فيها، فقدم الكاتب خريطة جغرافية متكاملة عن القرية المصرية، أو قريته التى شكلت جغرافيته فى السرد الروائي.

فبرز (القعيد) فى هذه الرواية كاتبًا جغرافيًا محترفًا فى قراءة أبعاد القرية المصرية بقدها وقديدها، وإبراز دور جغرافيا الإدراك، التى تُطلِع المتلقى على التعرّف بالبعد الشخصى، أو البعد السيكولوجي للشخصية فى علاقاتها الحميمية ببيئتها، وخاصة خريطة الأرض الزراعية: الحياة والهوية والثقافة المتجذّرة فى أعماق التاريخ، ومصدر كل شيءٍ فى واقع الريف المصري؛ لأنها تشكل جغرافيته الطبيعية والبشرية والاقتصادية؛ بل وأساس المفهوم الجغرافي.

تواصلت الرواية مع طبيعة الأرض وعلاقة الإنسان بها، مما أفضى إلى صياغةٍ واقعيةٍ ووصفيةٍ تسجيليةٍ فى الحدث الروائي، تعتمد على الملاحظة والمعاينة والتحديدات البيئية والمكانية، التى أثرت على لغة الروائية، وأثقلتها بلغة الواقع.

وفى قراءةٍ تحليليةٍ نقديةٍ لمجموع المُنتج البيئي والمكاني والثقافي، يحاول البحث إجراء قراءة مختلفة لرواية "الحرب فى بر مصر"، تقوم على الربط بين آثار الحدث التاريخى، وما أحدثه من تحوّلٍ فى الواقع الريفي، وما خلقه أيضا من أزمةٍ شديدةٍ فى الواقع الإجتماعي والنفسي، تطلع (القعيد) إلى تصويره عن طريق تجسيد كل خطوط القرية، وربطها بأفعال الشخصية.

ويشير هذا الربط إلى مفهوم "جغرافيا الإدراك"، أو الإحساس، والذى يتمثل فى الرواية الكشف عن مردُود الأحداث الخارجية على الإنسان.

وللوقوف على هذا المفهوم الجغرافى للقرية، يتبع البحث المحاور الآتية:

- مفهوم التحليل الجغرافي للأدب، وعلاقة الرواية بالجغرافيا.
- التعريف الجغرافي للقرية، يتركز التعريف الجغرافي للقرية فى الرواية.

من خلال الآتي:

- **أولاً: عناصر القرية:** (التعرُف)، وتتكون من مجموعةٍ من الأشياء التى تشكل عالم القرية، وتصوغه فى شكلها الخارجى، والداخلى داخل نطاقها المتعدد المبانى والأماكن، وكذلك الشروط التى تُحدد هذا النظام وتصفه، وتجعله مجتمعًا له مواصفات خاصة.

فتشكلت صياغة القرية فى الرواية فى صورٍ جغرافيةٍ تُحددها، فتصف كل أجزائها فى نطاقها المنتظم، والمعروف، وفى حركة مجتمعها وأنساقه البشرية المختلفة، فذكر الكاتب أماكنها المتنوعة، ووظائف أفرادها، وتشكيلهم الخاص، المتأصل من العادات والتقاليد، فجاءت القرية فى الرواية مكوّنة من:

- الأمـاكن: توظيف الأماكن بين الاستغراق والتخصيص فى مفردات الصورة الإدراكية، التي حملت وصفا للمباني: البيت، الشقة، الدوار، المخازن، ثم الأماكن العامة فى القرية: الأراضي، الساقية، الحقول الزراعية.

- البعد السكاني: وهم فئة الشخصيات: العمدة، الخفير، المتعهد.

- البعــد الجيوستراتيجي للقرية: الأراضــي الزراعية.

- ثانياً: خصـائص القرية: (الإدراك)

تشير خصائص القرية إلى نمطها المتفرّد فى جوّها ومُناخها، ذلك الذى يُعطيها قيمتها الجوهرية فى الصفاء والجمال إلى جانب ثقافتها، التي تميّزت بها عن غيرها من المجتمعات المتدنة.

يُمثل عالم القرية طبيعة طقسية خاصة على مستوى المنطقة الواقعة تبعًا لمركز إيتاى البارود، وعلى مستوى طبيعة البشر.

وقد جاءت خصائص القرية فى الرواية، متمثلة فى الآتى:

- المحطات المناخية.

- تعدد العلاقات الاجتماعية، والارتباط الشديد بثقافة الأرض، التي تسِم مجتمع القرية فى مصر، وتشكِل جيوستراتيجى: أى مفهومًا جغرافيا يرتبط باستراتيجية الحياة فى القرية، لارتباطها بالعادات والتقاليد المتوارثة، وعلى اعتبارها مصدر حياتهم الأساسي بحكم موقعهم الجغرافي.

- ارتبطت العناصر السابقة والمكوّنة للمفاهيم المكانية، والبيئة بالحدث الأساسي فى الرواية، ووقعه النفسى على الشخصية الريفية، فاكتسبت القرية علاقة جغرافية جديدة ومتميّزة، تقوم على تشكيل صورة القرية بكل مفرداتها فى وعي الشخصية، وإعادة إنتاج هذا المُنتج المكاني بكل ألوانه، وأحداثه داخل الشخصية، وعن طريق تفعيل الدور الحاسم للإدراك بما يدور فى القرية، ولأفق التذكر وتساؤلاته الدائمة عن معنى العدالة، التى تملأ كل صوتٍ يتحدث فى الرواية، تبني جغرافيا الإدراك لقرية (القعيد) فى شكلٍ متميّزٍ، يتحقق من خلق علاقةٍ جديدةٍ بين الإنسان وبيئته، تبحث عن الصورة المطمورة فى النفس، أو البعد السيكولوجي لرؤية القرية وأحداثها (التقييم).

- ساعد البناء الفني فى الرواية على الوصول إلى هذه الوظيفة التفسيرية لجغرافيا الإدراك، وذلك من خلال توظيف الكاتب للوصف، وارتباطه بالحكي والحوار: خارجيًا وداخليًا، لذلك ألحّ الوصف التفصيلي على الشكل الفني للرواية بصفةٍ عامةٍ، حتى جاءت عتبات النص الروائي حاملة أبعادا جغرافية ودلالية.

<u>مفهوم التحليل الجغرافى للأدب، وعلاقة الرواية بالجغرافيا:</u>

حاول الكاتب (يوسف القعيد) أن يقدم مفهومًا شاملاً لقريته، يبرز من خلاله صورة الأرض كوطنٍ وحياةٍ للإنسان، وكمنظومةٍ بيئية وبشريةٍ لها خصائصها التى تشكلها - وتمنحها خصوصيةٍ استقل بها المجتمع القروى فى مصر بحكم موقعه الجغرافى، الذى منحه صورة تختلف عن المجتمعات الكبرى، وإن أهم ما يميزه التفاوت الكبير فى المنظومة البشرية، والارتباط بمفاهيمٍ ثقافيةٍ عن تملك الأرض، تأصلت وتحققت فى هذا المجتمع الصغير بسبب موقعه الجغرافى وموروثاته ونظمه، التى أحدثت خللا كبيرا بين الملاك والمستأجرين.

وقد كشفت الرواية منذ بداياتها عن حيزٍ مكاني وبشري تكمن قوته فى الأرض الزراعية، التى ربما لا يعرف عنه الكثير: مكوناته وعلاقاته وثقافته التى ركزت عليها الرواية، فمنتحته قوة فى التعريف والهوية، تحققت فى ضوء جغرافيته، التي قدمت كل أبعاده وأنشطته.

فاعتمد (القعيد) على تكرار الأرض، على اعتبارها: جيوستراتيجي القرية، وحياة الإنسان، وبذلك تحقق الرواية تواصلا متميزا مع علم الجغرافيا، باعتباره علمًا له خصائص تحدده وتميّزه، لأنه يتواصل مع الإنسان في كل مكان.

"فالجغرافيا هى العلم الذى يدرس الأرض بوصفها وطن الإنسان، ويهتم بالأرض والإنسان على حدٍ سواءٍ، فكلاهما يكمل الآخر، ويمثلان عنصرين هامين وأساسيين فى معادلة الحياة والوجود".(٥)

ومن معادلة الحياة والوجود على وجه الأرض تنطلق كل الأنشطة البشرية المختلفة عبر هذا التوازى الكوني، ليعيش الإنسان فوق الأرض وتتشكل حياته وشخصيته وأدواره، ثم هويته، وفى هذا الإطار كان طريق الأدب، الذى يعبر عن التجارب الإنسانية بكل معانيها ومعطياتها بين الواقع والخيال، فيشير إلى الحراك الواقعي، والاجتماعي وأثره فى تشكيل مشاعر الذات، ودرجة الوعي عندها بواقعها وقلقها وهمومها، فيتناغم الأدب مع هذه الرؤى الفكرية، والتي تعمقها الرواية بصفةٍ خاصةٍ، لقدرتها الواسعة فى استيعاب الحياة وهواجس الذات.

ولعلنا ندرك وعي الكاتب بالمتغيرات الاجتماعية وما يصاحبها من علاقاتٍ متناقضةٍ، تكشف عن الفعل والدافع، الواقع والحلم، لذلك يصبح الكاتب منوطاً بإيصال هذا العمق الواقعي والذاتي، فيشغله الواقع بكل دروبه وخباياه، فيقتحمه بشدة، ويسعى إليه بكل جهده، فنراه يحرص على مادياته ويتعلق بطبيعته ليبني له مفهومًا جديدًا، مما يجعله يتداخل مع علومٍ أخرى لها علاقتها بثنائية الأرض والإنسان، تلك الثنائية التي تتشاجر داخل الذات الإنسانية فى صراعٍ أليمٍ ما بين حركة إلى الأمام وأخرى إلى الخلف، قدمها (القعيد) فى روايته وسعى إلى كشفها معتمدًا على ثنائية الأرض والإنسان فى عالم القرية فى الريف المصري، والتي التقطت مساحات عريضة من القرية المصرية، فعبرت الرواية عن الالتحام الشديد بين الإنسان وذلك الوجود الذى له هيئة جغرافية خاصة، والذى اختاره القعيد ليكون مسرحًا للأحداث فى حالة تماسٍ شديدٍ مع الواقع، مما جعله يحتفظ بالأبعاد الجغرافية للأماكن فى القرية؛ فتقدم لنا روايته مفهومًا جديدًا لجغرافيا الإدراك والإحساس "ومن يتمعن فى قراءة نظرية ابستمولوجيا الأدب (أو الأدب قوس قزح) يفطن لأصول تكوُّنِ ونشوء الظاهرة الأدبية، ويتأكد من العلاقة الأصيلة التى تجمع بين الجغرافيا والأدب استناداً إلى نظرية (الأدب هو قوس قزح) والجغرافيا هى من أغنى الروافد التى تغذى الأدب، لأنها تشارك فى خلق الظاهرة الأدبية".(٦)

وترتبط الجغرافيا بعنصر المكان، الذى يتجسد فى النص الأدبي، كخلفية لوقوع الأحداث، فأحيانًا يُعلي الكاتب من سلطته، إذا لزمت الضرورة الفكرية ذلك، فيعلو شأنه على تقنيات البناء الفني الأخرى فى العمل الروائي، وعندما يأتي المكان مرتبطاً بخصوصية بيئية وثقافية واجتماعية فإنه يُفصح عن مفهوم جغرافي لهذا الواقع، تمارس فيه الجغرافيا دورها فى النص الأدبي.

"وقد تجاهل منظرو النظريات الأدبية الحديثة إسهامات الجغرافيا فى النص الأدبي، للنظر إلى المكان ومؤثراته الوظيفية من وجهه نظر قد تكون قاصرة عن سيرورته المتنوعة فى النص الأدبي والروائي بصفة خاصة".(٧)

"وأما فى مجال الدراسات النقدية وارتباطها بالجغرافيا، فإنها تهتم بتحليل ونقد الأعمال الأدبية التى تستخدم المكان وأبعاده المتنوعة، فتفسر دوره فى معرض النصوص وخصوصًا القصة والرواية"(٨).

وفى هذا الإطار التحليلي الموجز لعلاقة الجغرافيا بالأدب يتضح دورها الفعَّال فى تشكيل رؤية المؤلف التي تأسست على انشغال الكاتب ببيئةٍ محددةٍ هى مسرح الأحداث المفضل لديه، والتي ورد ذكرها فى معظم أعماله الروائية، لتصبح جغرافيته الخاصة، ووسطه الجغرافي الذى لا يحيد عن وصفه. فتتشكل رؤيته مرتبطة به وبأبعاده الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتنشغل بالواقع، "وتنوه هذه الأبعاد: الوسط الجغرافي والاجتماعي والتاريخي إلى

نظرية سوسيولوجيا النص الأدبي: أى ربط الإبداع والمبدع بالواقع والمجتمع، ووفقًا لهذا المفهوم يرتبط الجغرافي بالتحليل السوسيولجي للنص الأدبي".[٩]

وانطلاقًا من هذا المفهوم ارتبط مجموعة من المبدعين على المستوى المحلي والعالمي بالعلاقة الحميمة بين الإنسان والمكان، أو الأرض مثل رواية "الأرض الطيبة" ١٩٣١م والحائزة على جائزة نوبل للآداب للكاتبة الأمريكية (بيرل باك)، وجاء (نجيب محفوظ) بإسهاماته المتميزة التى ترتبط بالمكان منذ عتبات العنوان، في رواياته: القاهرة الجديدة ١٩٤٥م، خان الخليلي ١٩٤٦م، زقاق المدق ١٩٤٧م، الثلاثية، بين القصرين ١٩٥٦م، قصر الشوق ١٩٥٧م، السكرية ١٩٥٧م، وقد اعتمد (محفوظ) فى هذه الأعمال على التقسيم الآلى والعقلانى للمكان، والذى يُعبر عن حركة الوسط الجغرافي، والعلاقات التاريخية والاجتماعية.[١٠]

وقد أوضحت هذه الأعمال الروائية - وخاصة أعمال نجيب محفوظ - علاقة الجغرافيا بالرواية، من كونه عالما بالنسيج الاجتماعي لمدينة القاهرة، ومتقنا فى رسم ملامحها، التى ترتبط به وبذاته فى خطوطها العريضة، التي لم تنمح من ذاكرته.

فشكلت أعمال (محفوظ) وخاصة "الثلاثية" معرفته بتفاصيل القاهرة، وخريطتها الجغرافية، فتجسدت فيها كل الأنشطة الحياتية التى عرضت لقطاعات المجتمع المتداخلة، والمتعددة المناظر، فاحتفت الثلاثية، بمعالجةٍ أدبيةٍ مختلفة عن باقى أعماله الأخرى، ذلك لأنه اعتمد فيها على المناظر الطبيعية والحضارية فى القاهرة: فظهرت المفاهيم المكانية المتنوعة للمساحات المبنية: الشوارع، الأزقة المقاهى، الجوامع، شارع الجمالية ....

فطالعتنا القاهرة بأوجهها المتنوعة خريطة جغرافية، من جغرافي محترف، امتزج بنسيجها والتحم بها، فعبر عنها بهذه الطريقة التى اكتست بالواقع، وعكسته.

وقد أسهمت رؤية (محفوظ) هذه فى التعريف الجغرافي لمدينة (القاهرة)، وأكدت على تنوّع الإبداع، ووعي المبدع فى تخلِيق مادته الإبداعية، التى تهدف إلى تقديم رؤيةٍ إبداعيةٍ مرتبطة بمنظومةٍ خاصةٍ، يقدمها الكاتب فى تشكيلٍ خاصٍ فى البناء الفني، يمنحه قدرة على تجسيد الحدث فى واقعه المادي والمعنوي.

ولعل رواية (القعيد) حاولت أن تحقق ما قدمته "الثلاثية"، من معرفة بالنسيج الاجتماعي والمحتوى الاقتصادي، والثقافي للقرية، وخاصة بعد قوانين الإصلاح الزراعي، التى أثرت على استراتيجيات القرية.

التعريف الجغرافى للقرية فى الرواية:

كلُ أديبٍ له ظروف تكوينية خاصة تتوافر له حسب المناخ المحيط به، والزمن الذى نشأ فيه، وإمكانيات هذا الواقع التاريخى والزمنى، الذى قد يتجمع ويسود فى كتابته الإبداعية، فنراه يتحدث بلغة القرية، التى تتمتع بوجودها فى داخله، فتشير إلى مقومات التقارب والاندماج مع تلك البيئة التى نشأ فيها واحتضنت آماله وآلامه.

ولعل رواية (القعيد) تعبر عن حالةٍ من الاندماج بالقرية، والتعبير عن أهم قضاياها، وخاصة بعد قوانين الإصلاح الزراعي، وما أحدثته من توترٍ دائمٍ بين الأمل والألم فى تلك المرحلة التاريخيةٍ العصيبة، التي أفرزت النفعيّة والطبقية، "وقد كانت الطبقية أهم أدواء المجتمع فى ذلك الوقت، الذى بدأت فيه مشاعر العنف والثورة والإحساس بالظلم الاجتماعي فى الطبقات الفقيرة، التي صورت صراعها مع الطبقات القوية."[١١]

وقد امتلأت الرواية بهذه الأفكار والأحلام المتصارعة من أجل البقاء، الذى تمتلكه قوة الأرض الزراعية، وما يدور من قوانينٍ وأحداثٍ حولها. لأنها مُمثل الطقس البيئي والحيوي فى القرية المصرية، أو ممثل (الفعل الخارجي)، وهى المرتبطة بمستوى العقيدة الشخصية، أو الرؤية الداخلية: (الفعل الداخلي)، ومساءلة الواقع والنفس.

تتزرع الرواية بهذا التوتر الشديد فى تقديم حدث القرية فى رؤيةٍ مفعمةٍ بعبق الذاكرة التكوينية للكاتب، ولقريته، فتحولت لغته إلى صياغةٍ خاصةٍ تقدم عالم القرية بأوجهه المختلفة، وتضفي عليه ألوان الواقع الطبيعي والاجتماعي المكثف بكل تجلياتهما فى روايته "الحرب فى برّ مصر ١٩٧٨م"، والتى تحقق فيها مفهوم جغرافيا الإدراك عن طريق توظيف: عناصر القرية وخصائصها، وأثرها على الشخصية.

تتكون الرواية من ستة فصول، وهم:

"العمدة – المتعهد – الخفير – الصديق – الضابط – المحقق".

نسج الكاتب فى هذه الفصول الروائية أحداث الرواية، أو حدثه الأساسى، الذى يصور الصراع الدائر بين الأثرياء والفقراء على حقوق الامتلاك للأراض الزراعية، بعد قوانين الإصلاح الزراعي، وما أحدثته من فجوةٍ كبيرةٍ بين الطبقات الاجتماعية فى القرية، والتي ظلت فيها الأرض الزراعية هى الاستراتيجية الأولى للحياة فى الريف المصرى، لأنها مورده المادي والحضاري والثقافي، الذي يغذيه، ويمنحه البقاء.

وحول "الأرض" دار الصراع بين القوتين فى محاولاتٍ مستمرةٍ للحفاظ على هذا الكيان المادي والمعنوي، لأنه يُمثل قيمة القرية وشخصيتها، كذلك ظهور الفساد والرشوة فى ضوء هذه التغيّرات الاقتصادية والاجتماعية، التي كانت أساس الحدث الروائي، والصراع بين التباينات الاجتماعية المختلفة.

فجسد (العمدة) نموذج الطبقة المسيطرة: رمز الاستغلال والفساد والتحكم، وجسد (المتعهد) صورة أخرى للرشوة، وجاء (الخفير) ممثلا كيان الطبقة الفقيرة، ثم (مصرى) ابنه: ضحية هذا الصراع.

وفى وصفٍ تفصيليّ للأماكن والبيئة الريفية، بكل محطاتها، نسج الكاتب أحداثه، متخذًا من "الأرض" طابعًا مميزًا للأحداث، لا يستقل عن الشخصية وجوّها النفسي.

فتمركز السرد حول توحّد الإنسان ببيئته، لذلك تأسس على الحكي فى تواصله مع الواقع الخارجي، والوعى الداخلي عند الشخصيات، فشغلت البيئة الريفية فى صورها الطبيعية من مكانٍ إلى مكانٍ آخرٍ، ومناخها المتميّز، والأرض، والمباني خبرة الكاتب فى نسج أحداثه.

وقد اعتمد الكاتب على ذاكرته التي تعايشت هذه الأحداث، فكتب بوعى وخبرةٍ عن قريته، التي تمثله، وتمثل نشأته وحياته، فسجلت ذاكرته، ووعيه البدائي بالحياة ومكوناتها فى قريته، فأجاد فى التعبير عن العادات واللغة المحلية.

أو الخريطة الجغرافية الخاصة به، وبملامحه النفسية، والتي ترتبط بما أسماه أصحاب الجغرافيا الجديدة: "جغرافيا الإحساس" أو الأرض اللا بديهية، إنها جغرافيا الإدراك للعقول البشرية ومدى ارتباطها وتخيُّلها للمواقف التي تحدث فى عالمها اليومي.

يُقدم التعريف الجغرافى للقرية فى الرواية معطياتها البيئية والطبيعية والسكانية، والمعرفة الجيدة بمحتواها، فى تلك المساحة السكانية الصغيرة، التي تقع قرب المركز، أو مركز إيتاى البارود، وقدم القعيد عالم القرية فى عناصرها المكانية والبيئية والثقافية والاجتماعية، فى صورةٍ تنتمى إلى طبيعتها أو المظهر الخارجي الذي تقع عليه العين، وصورة داخلية لعلاقات المجتمع الريفي وتأتي الصورة: الخارجية والداخلية فى الرواية، مكونة من عنصرين:

<u>العنصر الأول: الصورة الخارجية للقرية (عناصر القرية):</u>

تُعرف القرية بصفةٍ عامةٍ على أنها ذلك التجمّع السكاني المُحدد جغرافيا وسُكانيا وطبيعيا فى مساحةٍ صغيرةٍ، تتوزع عليها النشاطات البشرية المختلفة، والتي تعتمد على الأرض الزراعية كموردٍ أساسى للحياة.

وفى فضاء هذه العلاقات الواقعية: الوسط الجغرافي والاجتماعي والتاريخي، تكونت عناصر القرية فى الرواية، وجاءت كالآتي:

العناصر المكوّنة للمنظر الطبيعى فى الرواية .

الأمــاكن وأشكالها المختلفة: "بين الاستغراق والتخصيص".

تبدت جغرافية الأماكن فى الرواية فى ارتباطها بالأفراد، وعلاقاتها بها، من حيث تواجد الإنسان فيها، وأُنسه بها، وعلى اعتبارها تحمل الركيزة الأساسية فى حياته.

وقد تنوعت هذه الأماكن فى الرواية، فجاءت فى صور مباني تتوزع فيها الطبقات البشرية المختلفة: (**البيـت، الشــقة، الـدوار، المخــازن**).

يقول السارد:

"ويأتى موعد نزولى إلى الدوار، ناديت الخادمة، تركت الشقة، ودخلت البيت القديم، الحجرات كلها مغلقة، مررت على حجرة زوجتي الأولى، التى يسمونها فى البيت بالست الكبيرة."(١٢)

ويقول السارد:

"اتجهت إلى الحظيرة، ألقيت نظرة على المخازن: مخزن المحاصيل، مخزن الأسمدة، مخزن المبيدات، مخزن الأراضي الزراعية كلها مغلقة."(١٣)

تتوزع الأماكن بطريقةٍ آلية متواترة فى الرواية مُعربة عن صور المبانى وأشكالها، ومسمياتها فى القرية، فالبيت يمثل مكانًا مهمًا؛ لأنه يعبر عن المسكن الأساسى للإنسان والذى يحتويه كليًا، فيحمل عالمه الواقعى والنفسى، ويُشيد بحالات الأنس والألفة بين البيت والشقة والدوار . كذلك تأتى أماكن أخرى، تمثل امتدادًا لواقع المبانى داخل هذا الحيّز الجغرافى مثل: صور المخازن.

فسرد الكاتب أشكال المكان فى واقع القرية سردًا واقعيًا وتاريخيًا، يحمل الأبعاد التكوينية للمباني وأنواعها وطبيعتها، ويشير إلى مجموعة من التقاليد الاجتماعية، كما يقول: عن الزوجة الأولى: الست الكبيرة فى البيت.

وتتكرر صور الأماكن فى الرواية، لتجمع بين الواقعي والنفسي، فتعبر عن هُوية الشخصية وكيانها.

يقول السارد:

"ذهبت إلى الدوار، لم يدهش أحد من نشاطي، فسره البعض نتيجة لعودة الأرض، قالوا: إن الحياة نفسها عادت إلىّ، وليست الأرض فقط."(١٤)

تنتزع معطيات بعض الأماكن شعريتها من نفس الشخصية، فتتحول هذه الصور البصرية إلى حالةٍ من التوافق والألفة بين صور الأماكن، وانعكاسها الداخلي فى الشخصية "تتحوّل المعانى البصرية من مشاهدها الطبيعية إلى لغةٍ تتسع فى عالم الشعور الداخلى، فتتوجه المعطيات الحسية إلى لغة السمع والبصر، والتى تنتقل إلى التركيز فى بؤرة الشعور."(١٥)، فتمثيل العمدة لدور الأرض فى داخله بهذه الرؤية الكلية الشاملة للحياة، إنما يدل على تواجدها فى الشعور، وثقافتها المتأصلة فى حياته.

فيرى فيها جوهر لوجوده - كما قال السارد: إن الحياة نفسها عادت إلىّ.

تعاملت الشخصية مع الأرض بوصفها كيانًا شاملاً لكل شيء: جغرافيا، وحضاريا، وماديا ومعنويا، وذلك بحكم موقعها وثقافتها، التي صورت منظومة إنسانية وجغرافية فى القرية تراكمت ثقافتها عبر تاريخ القرية، فأصبحت المورد

الطبيعي والمصدر المعيشي عبر فتراتٍ تاريخيةٍ فى واقع القرية، وكذلك الارتباط بأماكن الحميمية والألفة: البيت الدوار، والتي أفرزت بدورها أشكال العمران فى الريف المصرى، وهى أحد ألوان التشكيل المكاني فى الرواية.

يقول السارد:

"أتى الليل لم يكن عندى فى الدوار ضيوف. قلت فلأتناول العشاء فى البيت. تعودت تناول طعامى فى الدوار إن كان عندى ضيوف.

إنها ليلة زوجتى الجديدة، التى ستظل جديدة إلى أن أتزوج عليها، وحيث إن هذا لن يحدث، ستبقى لها هذه الصفة، دخلت أثناء مروى على شقة الست الكبيرة، كانت تقف على بابها".[١٦]

استغرق (يوسف القعيد) فى وصف المباني بصورةٍ واسعةٍ فى السرد والحوار، بكل تفصيلاتها، وعلاقاتها، بوصفها منظومة جغرافية، تحمل قيمًا خاصةً فى واقع القرية المصرية فى ذلك الوقت، فتنوعت أشكال الأماكن، واستغرق الكاتب فى وصفها، وارتباطها بالشخصية؛ إلا أن "الأرض" كانت محطته الأساسية بين الاستغراق فى تفصيلاتها، وبين التخصيص لدورها على كل المستويات.

يقول السارد:

"أعرف أنه يفضل أن يكون معلما فى المدرسة الابتدائية، بالتحديد فى مدرسة البلد، حتى يحمل نور العلم، لقد اكتوى مصرى بنار الحرمان من التعليم."[١٧]

ويقول أيضا:

"العمدة أحد أغنياء الناحية: سعيد بتشريف حضرة العمدة لدارى المتواضعة، صدر الحكم بعودة أرضه أمس، وأقيم احتفال كبير فى البلد".[١٨]

ويقول:

"تنحنح العمدة، نظر حوله، قمت، أغلقت باب المندرة الداخلى الذى يوصلها للبيت، وأغلقت الباب الخارجى الذى يفتح على الشارع، عدت، جلست هذه المرة فى مواجهة العمدة مباشرة، بدأ الحديث، وأنصت له."[١٩]

تستمر المفاهيم المكانية فى عرضها لتركيبة القرية، ومناظرها الطبيعية، التى توحى بالمساحات المكانية المبنية فيها - كما جاء فى حديث الشخصيات - البلد، الدوار، الشقة، المدرسة الابتدائية، داري.

أشارت هذه الأماكن بتنويعاتها إلى هوية الأفراد، والتباين الواضح فى مجتمع الريف، بين البيوت الكبيرة والصغيرة، والأماكن التى تمسك بناصية القرية، وتحدد كثافتها وحيويتها: مثل الدوار، الذى يمثل المستوى الاجتماعي الأول فى المساحات المبنية داخل القرية، لأنه يرتبط بالعمدة ممثل القوة بكل خصائصها، فهو يعبر عن تقييمه الإدراكي لدواره وشقته وبيته وزمامه وناحيته، بطريقة يظهر فيها الإعجاب والتباهي، وخصائص القوة بكل مستوياتها فى الرواية.

وعلى عكس ذلك تأتى بيوت الفقراء المتواضعة، الوجه المتناقض تماما مع بيوت العمدة، والمُعبر عن الخصائص السائدة فى المبانى، والتى تحدد ملامح الشخصيات فى ذلك الوقت التاريخي، فتشير إلى ما يسمى قاع الريف، أو الطبقة المُهمشة والفقيرة فى هذا المجتمع.

حددت العناصر المكوّنة للمفاهيم المكانية فى القرية، المنظر الطبيعي الخارجي لمجموعة المساحات المبنية داخل القرية، والتى اختلفت فى أشكالها، فأعطتنا هوية الشخصية، والمعنى العام للمكان، ومدى أثره فى نفس ساكنيه.

وقد جاءت أشكال الأماكن السابقة فى الرواية فى حالةٍ من الاستغراق والتوحّد والتماهي بين الأماكن والشخصيات، استمرت حركتها فى تنوعٍ واضحٍ في الحكي واستغراقٍ فى عرض الحوارات التى تجمع بين الأماكن والشخصيات، فتوضح صورة المكان وعلاقته بالذات التى تتحرك فيه، حركة دائمة؛ لأنه رمز الوجود والتواجد، والحماية، تراه الشخصية فى دلالته الثابتة أو دلالة النظر عن طريق العين: أداة الرؤية الحسية ورمز الرؤية الدلالية التى تربط بين الأماكن من خلال تواجدها فى العقل والذاكرة، وما يحتفظ به الخيال من رموزٍ دلاليةٍ، تركّز على صورته الرمزية، المليئة بالألفة والحب.

يقول السارد:

"أصوات الحركة تملأ الدنيا، والأنوار التى تخرج من الدكاكين والبيوت، تعطى الإنسان بعض الونس".[٢٠]

ويقول:

"اتجهت إلى حاصل الساقية، به بعض المياه الراكدة، غسلت وجهى فيها، وتركت وجهى لهواء ساعة الغروب."[٢١]

ويقول:

"إن الدرس الذى تعلمته جيدا إن بلدنا أصبحت مثل القطط تأكل أبناءها بدون رحمة، لننظر جيدا إلى بلدنا الآن، إنه عالم غريب، ملغوم، آمن، صعب وسهل، محبٌ وحاقدٌ، متخمٌ وجائعٌ، هذا البلد لنا كيف ومتى؟ ولمن منا بالتحديد؟ ألستم معى أن كلمة البلد تحوى الكثير من المعانى بداخلها."[٢٢]

تشير حركة الأماكن فى الحكي إلى وجود أيقونة خاصة فريدة من نوعها بين الشخصية ومفردات المكان فى القرية، أيقونة ترى فى المكان نفسها، ومشاعرها، وبين الحب والأمل، يوجد الصراع أحيانا فى النفس التي تفتقد وتفتقر إلى هذا، فترى فى البلد، رؤية أخرى تملؤء بالمد والجذر: الأمل والألم، الخوف والرجاء.

ثم تأتى "الأرض" ذلك الكيان الجغرافي الذى يَسم القرية بوجوده الجغرافي، فيخلق فيها مجموعة من العلاقات المتنوعة التى تُظهر دورها فى كل المجالات.

والأرض التى تشكل المساحة الكبيرة فى القرية على المستوى الجغرافي، والمستوى المعيشي، والنفسي فى حالةٍ من الخصوصية، لأنها البعد (الجيوستراتيجى) فى قرى مصر بصفةٍ عامةٍ، وذلك لدورها المؤسس لحياة الإنسان، وسوف نفرّد لها الحديث كأهم عناصر القرية، تكررت بصورة كبيرةٍ جدا فى السرد والحكي والوصف، كما جاء فى الحوارات السابقة، وكما سنعرض لها فى البعد الاستراتيجي فى القرية.

البعد السكاني: "الشخصيات الروائية".

العنصر البشري فى القرية، والمعروف باسمه وهيئته، وطبقته الاجتماعية، وقد قدمت الرواية عالم الشخصية فى صورتين: المالكِ، والمملوك.

فجاءت الشخصيات كالآتى:

"**العمدة، الخفير، المتعهد.**"

<u>الشخصيات الروائية:</u>

الشخصيات الروائية هي النماذج البشرية التي تعبر عن واقعٍ ما، وتقوم بالحكي عنه من خلال الحوار الخارجي، والمونولوج الداخلي، فتكشف الشخصيات الروائية عن الأحداث والواقع المعيشي.

وفى رواية (يوسف القعيد) اختزلت الشخصيات مفردات القرية وواقعها ووقائعها المتناقضة، فجاءت الشخصيات مساندة ومعبرة عن ثقافة القرية فى مصر، فى ذلك الوقت التاريخى، الذى تغيّرت فيه القوانين، فظهرت الطبقة القوية فى القرية، وكان على النقيض الطبقة الفقيرة، وفى ظلّ هذه التناقضات ظهر الوعى الداخلي لدى كل شخصية بدورها، وعبر القعيد من خلال أزمة الفلاحين الفقراء عن نقده للنظام الاجتماعي، "ويرتبط نقد النظام الاجتماعي فى الرواية بالمعارضة، والتمّرد فى ظلّ قوانين الرأسمالية فى ذلك الوقت، حيث تحولت ثروات الأرض إلى سلعٍ، وطغت النفعية البحتة، وإحساس الفرد بالظلم، داخل نفسه وبيئته."[٢٣]

وقد حملت فصول الرواية تلك المعارك الشديدة بين القوى المالكة للأرض الزراعية، وبين الطبقة المظلومة التى قادها الإحساس بالظلم إلى التضحية من أجل البقاء، وللتعبير عن هذا البعد الوثائقى فى عالم القرية، جاءت الشخصيات كدلالة وثائقية، تحمل فى شكلها العالم البعد السكانى فى القرية، لذلك وظف الكاتب أسماء بعينها، عمد إليها، ليوضح المنظومة البشرية فى القرية، بما تحمل من قوةٍ وسيطرةٍ لطبقة الأثرياء، والإرادة المسلوبة والمهمشة لطبقة الفقراء من مستأجرى الأرض الزراعية.

فأطلق الكاتب أيديها فى الحكي عن حياتها وظروفها المعيشية، ليرى فيها مردود الأحداث على أبعاده النفسية، فغرق حوارها فى وجودها وهويتها ورؤيتها للإحداث، وجراحاتها وأعماقها البائسة التي تمتلئ بلجج الصعاب.

وعن طريق أُفق التذكر ، ظهر الصوت كوسيلةٍ لتصوير تحولات واقع القرية، فارتفعت الأصوات فى الرواية بين ضجة الفرح، وصراخ الفقر والفقد أيضا، فوظفه الكاتب ملازمًا للحكي، ودلالة على التمني والتخيّل فى تحقيق الرغبات، ودلالة على الأسى والحزن فى لحظاتٍ تتلاشى وتتبدد فيها الأحلام. فجاءت أصوات الشخصيات فى حكيها متنوعة، تعبر عن حياتها، "فالإنسان يعيش فى بيئته مختلطًا بكل ما فيها، ويظهر هذا التبادل مع مجتمعه فى علاقةٍ حتميةٍ بالواقع من خلال وقع الأحداث فى نفسه."[٢٤] وقد ارتفع صوت الشخصيات الروائية مستجيبًا لأحداث الواقع، وما أحدثه من متغيّراتٍ وأحداثٍ، أثرت فى حياتهم، وزادت إدراكهم بتلك المنطقة الأثيرة فى أنفسهم، والتى أسمعتنا أصواتهم، فارتفع صوت العمدة متهللا فرحًا بعودة أرضه، وارتفعت أصوات أخرى معبرة عن التناقضات الشديدة، والظلم الاجتماعى.

فجاء صوت الشخصيات حاملا أبعادهم النفسية المختلفة، وإدراكهم العميق لما يحدث.

فانقسمت الشخصيات إلى قسمين:

القسم الأول: الشخصية الرئيسة والفعّالة فى تحريك الأمور فى مجتمع القرية:

"**العمدة**": الصوت الأول فى الرواية رأس التملك والتحكم فى القرية، وهو عنوان الفصل الأول فى الرواية، والذى لم يتوقف حواره فى كل فصول الرواية على اعتباره الفكرة الأصلية فى الحكى والحوار، لأنه يعبر عن الرأسمالية، والحدث التاريخى الذى أعاد إليه أرضه، فازداد نفوذه وقوته ليصبح حليف الأقوياء والضعفاء أيضا، وممثل قوى التملك التى احتفظت بأصالتها فى مجتمع القرية على مرّ العصور.

يقول السارد:

"لا أعرف بالتحديد من أين أبدأ الحكاية. كنت أتصور أن ليلة الأمس من الليالى التاريخية فى حياة العائلة، أول يوم يدخل قلبى الفرح، كرامتنا عادت إلينا. الأرض التى أخذوها منا سنة أربع وخمسين رجعت."[٢٥]

بدأ الفصل الأول فى الرواية، بشخصية "العُمدة" الذي ظلّ يحكى عن أرضه، وصورتها وأثرها فى نفسه بعد عودتها، فاستمر صوته عاليًا معبرًا عن فرحته، وفرحة عائلته، وحياتهم المرتبطة بالأرض، ثم قانون الإصلاح الزراعى، وما سيحدثه على الفلاحين. وأخذه أرضه منهم، والتى أصبحت مصدر حياتهم.

فيقول:

"أحضر كاتب العزبة بيان الأرض التى ستعود بموجب الحكم القضائى العادل، علىّ أن أستعد لاستلامها، كان موفقا بالبيان كشف بأسماء الفلاحين الذين يزرعون الأرض منذ أن نزعت ملكيتها منا، يزرعها البعض بعقد إيجار، والبعض يضع يده عليها، نظرت فى الأوراق. غدا سأرسل الكاتب إلى المحكمة ليعرف متى تكون صورة الحكم جاهزة حتى نستصدر قرار التنفيذ."(٢٦)

تعبر الأرض عن مفهوم القوة والسيطرة فى واقع القرية، وتظهر فى الحكى معبرة عن مدلولٍ أوسع من صورتها الجغرافية، إلى جغرافية أشمل وأوسع، فهى البؤرة التى تتجمع فيها الأحداث، وإطلالات الماضى، وقوة الحاضر، اتجه إليها الحكى مباشرة من خلال كل الشخصيات، وخاصة العمدة، لأنها عصاة التي يتوكأ عليها فى كل أمور حياته، وهى صدى الحدث الذى يقدمه القعيد، فيفرز وجه القوة، المتمثل فى شخصية العمدة: الطبقة العليا فى مجتمع القرية، والمالكة لكل شىء، فنراه فى الحكى يتحدث عنها فى إحساسٍ قوى، يدرك صورتها منذ وجوده، ووجودها: أول يوم يدخل قلبي الفرح، كرامتنا عادت إلينا.

تحولت صورة الأرض إلى تكويناتٍ مفعمة بالحياة بكل تفصيلاتها، وسيرة ذاتية لكل شخصية، سكبت فيها حياتها وأحلامها، نتيجة تفاعلها معها، وتراكمها فى الوعى الداخلى، الذى عكس نضرة الروح ونعيمها فى وجودها.

أخذ طابع الحكى فى الفصل الأول، وباقى فصول الرواية هذه الرؤية الجمالية عن الأرض فى تجانسها مع واقع الشخصية المادى والنفسى، فمضى يتحدث عنها فى صورتها التاريخية والاجتماعية، ثم مردودها الداخلى، والمجازى فى نفسه.

فيقول: "وبحرى البلد رأيت النجمة أم ذيل، وبجوارها عصاتين متعانقتين، وكان النور الذى أهلّ على النافذة أزرق اللون، مشوبا برمادية ساعة الفجر، رجعت الأرض وغدًا يعود لنا كل ما فقدناه."(٢٧)

وفى وعى وحنكةٍ متميزة من الكاتب، تناولت الحكى شخصيات أخرى، لتشعر المتلقى بالتناقضات الواقعية والنفسية فى عالم الرواية، فقدم الحدث الوجه الآخر للشخصية المتهالكة، التى تقع فى صراع القدر والقوة، وما فرضته الحتمية الواقعية والاجتماعية عليها، فيأتى الفلاح الفقير، أو الخفير، ليعكس الواقع من خلال وقعه الداخلى. ويطرح لطبقةٍ اجتماعيةٍ فى القرية، يقوم العمدة على استغلالها، عن طريق "المتعهد": أحد رموز الفساد.

القسم الثانى الشخصية الثانوية: الشخصية الثانية: "**المتعهد**" - **عنوان الفصل الثانى فى الرواية:** أحد رموز الاستغلال والفساد فى مجتمع القرية، ومساعد العمدة فى عقد صفقة البدل بين (ابن العمدة)، و(مصرى) ابن الخفير.

جاء فى الفصل الثانى فى الرواية، ليحكى عن حياته، وبؤسه، آماله فى تغيّر حاله.

يقول السارد:

"أنا متعهّد حل العقد الناس يسمونى المتعهّد. أبيع الأراضى، وأنقل حدود الحقول، وأنا عندما أحلّ المشاكل التى تسبب للناس الحزن والخوف، أتصور أنى لا أقلّ عن الزناتى خليفة أو أدهم الشرقاوى."(٢٨)

"الأيام السيئة فائدتها الوحيدة هى النوم وأنا أطبق هذه النظرية يوميا. أصحو من النوم لكى أنام مرة أخرى، وأظلّ أتقلب على الجنبين مثل الطنبور الذى تعب وداخ من كثرة اللف حول نفسه، وعندما يمرّ الناس أمام بيتى، ويعرفون إنى نائم يقولون بصوتٍ عالٍ: نوم الظالم عبادة، مع إنى لم أظلم أحد، حياتى كلها خدمات للناس."(٢٩)

ويقول:

"وفى اللحظة الحلوة صحوت من نومي على صوت سيارة، استغربت، السيارات فى بلدنا قليلة، من يركب سيارة يعرف الكبار والحكّام، ويمشى أموره، تعودت ألا يحضر إلىّ سوى الفقراء والمساكين. قليلى الجهد والحيلة، الذين نقول عنهم: إن كل الطرق مسدودة فى وجوههم دائما. أتى أحد أبنائى. أخبرنى بوجود ضيوف غرباء، خرجت فوجدت عمدة إحدى قرى المركز فى المندرة"(٣٠)

تجسد شخصية "المتعهّد" صورة الفساد المبرر من وجهة نظره، لأنه لا عمل له، وعندما جاءه العمدة، استطالت الأمانى، وارتفع صوته وجال فى نفسه انتهاء أزمته مع الركود، لأنه أدرك بوعيه الداخلى مدى احتياج الآخر له، وخاصة إذا كان العمدة الذى يملك الأراضى والأطيان، فجلّ أمنياته أن يعمل عنده، ليخرج من حالته السيئة.

يقول السارد:

"مادامت أرض العمدة عادت إليه، لابد وإن شرفي ووظيفتي واعتباري فى الطريق إلىّ."(٣١)

تُدرك كل شخصيةٍ فى الرواية هويتها الخاصة المتميزة بها سلبا أو إيجابا، وترتبط بهذه الهوية مجموعة من الأفكار والمشاعر، تصف طموح الشخصية، وخباياها النفسية، ومن الواضح من الحكى السابق عند كل الشخصيات على اختلاف طبقاتها، أنها تنظر إلى الأرض، أقرب المفاهيم الحياتية والاجتماعية والثقافية فى حياة أهل القرى، فقد ارتبطت داخلهم بفلسفةٍ خاصةٍ، أعمق من دورها كمصدر للرزق، إلى مُدركٍ نفسى، له طاقة قوية فى الإحساس بالكيان، والهوية من خلالها، فهى مترسخة فى أذهانهم بأنها صورة الذات بكل أنواعها: "يُقصد بصورة الذات إدراك الشخص لهويته المتميزة، التى تحمل خصائصه النفسية، وأفكاره ومشاعره، فنرى أنفسنا فى الأشياء القريبة منا، والتى تُشكل فينا فلسفة الكون والحياة والواقع."(٣٢)

اختزلت الشخصيات فى الرواية هذه المعانى فى مجموعة الدلالات الخاصة بذكر الأرض: الفرحة، الكرامة، الحياة، وظيفتى، واعتبارى ..

شكلت هذه الدلات رؤية الأرض فى داخل الشخصية، ليس على اعتبارها مجرد مكان فى القرية، أو مصدرٍ من مصادر الحياة والمعيشة؛ بل على أنها الذخيرة المعرفية والثقافية، التى تكونت منها الشخصيات، فأصبحت صورتها لها رؤية دلالية ملازمة للشخصية.

يقول السارد:

"صمت العمدة إلى أن انتهيت من كلامى دهش الرجل. فكر طويلا. نظر إلى ضوء صغير يبدو من السماء من خلال نافذه فى أعلى الجدار، لعل الزمن الوغد رمانى بدون عمل، إن بقائى بدون عمل مؤامرة ليس فى صالح مصر أبدا، قال لى: إنه موافق على التخطيط"(٣٣)

ثم يأتى **الخفير**: الشخصية الثالثة فى الرواية، عنوان الفصل الثالث، ليجسد عالمه وواقعه فى حكيه عن حياته وأسرته، وفقره وأولاده، وزوجته، ثم ابنه المتميز "مصرى"، والخفير خادم العمدة وحارس دواره وأرضه ومخازنه، وأحد مستأجرى أرض العمدة أيضًا، والممثل لأزمة الفقر، وطبقة المطحونين فى القرية المصرية.

يهتف صوته، وصوت أسرته، بنتوءات الواقع، وبمكانه فى هذا الواقع، فتتشكل خبراته فى قراءته لتفصيلات الواقع، وصدى الأحداث عليه وعلى أسرته، وفقدانه الثقة فى امتلاك أرضٍ قد تؤمن حياته، ولكن كيف؟ بالتضحية، والرضوخ إلى القوى المسيطرة، "إن فقدان الثقة فى الواقع يشكل للإنسان تهديداً كبيرًا، يجعله يقع بين متناقضات داخلية، وهو فى هذه الحالة يلجأ إلى أمرين: إما أن يرفض وجوده، وإما أن يعود للبحث عن قيمةٍ ثابتةٍ فى حياته، يبرر قبولها، وتبرز وجوده."(٣٤)

وتتكون سيرته الذاتية من حالةٍ شديدةٍ من الفقر في عالمٍ شديد السيطرة على الفقراء من أمثاله.

يقول السارد:

" في بلدنا مثل يقول: ضربتان في الرأس تسببان ألما ووجعاً للإنسان، أنا أحتاج لتقديم نفسي لكم، أعتقد أن دوري في الرواية قد حان. أبدأ فصلي من هذه اللحظة التي ستظل حية بداخلي إلى أن تذهب معي إلى القبر، وتدفن في حضني، رغم معرفتي بضيق قبور الفقراء."[٣٥]

يبدأ الخفير نموذج الفقر والطبقة المهمشة في القرية بتقديم نفسه في هذه الصورة، ثم يتواصل في حكيه والتعبير عن حياته ودوره في القرية كخفير: حارس ممتلكات العمدة، ومستأجر في أرضه. يقول:

"ثلاثة أفدنة، قطعة مربعة من الأرض، معي منذ سنوات لا أعرف عددها، توقفتُ بعيني عند دوار المواشي والساقية، وشجر الكافور والجزورين، الذي يحدّ الأرض، أنا ومصري ضعيفان.[٣٦]

ويعرض بعد ذلك تلك الصفقة الرابحة للطرفين، والتي ستحقق له أحلامه في امتلاك جزءٍ من الأرض الزراعية، التي تؤمّن حياته، لأن رفضها بمثابة تهديدٍ له ولحياته، لذلك لجأ إلى اختيار قيمته الأساسية في حياته.

فيقول:

لو ذهب ابن العمدة إلى الجيش لخرب بيته، أخيراً عثرنا على حلّ، أن يذهب شخص أخر بدلاً منه. ولما كان العمدة يعتبرني أحنّ عليه من أخيه، وأن مصري يعد ابنه، سيذهب مصري إلى التجنيد بدلاً من ابن العمدة.[٣٧]

وتبدأ الصفقة وقبول الخفير:

"العمدة: لن تُطرد من الأرض مهما حدث، ومن الممكن إعطاؤك مساحات أخرى من الأرض مستقبلاً، ما حاكاه العمدة يدخل بند المعجزات، فهي أمنيات لا يجرؤ بشر على الحلم بها، هل أقبل ذهاب مصري إلى الجيش بدلاً من ابن العمدة؟ صحيح أن هذه الأفدنة بالإيجار، ولكني واثق أننا سنمتلكها ذات يوم، أشعر باقترابي من قراري الخاص، أعود أتسلم الدوار ومخازن العمدة هذا الصباح."[٣٨]

تعرِف الشخصية مكانها في الواقع، وتبصِر بوعيها الشديد تلك العوامل المهيمنة على حياته، وعلى حياة الفقراء مثله، فهو يقوم برصدٍ لواقعه الاجتماعي منذ أول لحظة بدأ يحكي فيها عن نفسه، وعن حياته وأسرته، وإحساسه العميق بالفقر، فسلط الضوء على كل هذه الجوانب، بيته وبيوت المساكين مثله، وحياته المرتبطة بالأرض، والتي دارت حولها قصة البدل بين ابن العمدة، ومصري ابنه، مضت القصة أو الصفقة تدور في ذهنه، وينسج الأحلام والتطلعات في مشهدٍ متكاملٍ يجمع بين واقعه وأحلامه التي بدأت تتحقق مع صفقة العمدة.

تمضي الأحلام مرتبطة بالأرض - كما جاء في الحوارات السابقة - وبالحياة في كل تجلياتها الواقعية والنفسية؛ لأنها جاءت مهيمنة على مشاعر الشخصيات وأفكارهم ومصائرهم، فأصبحت المُحرك الأساسي في الحدث، التقت بالشخصيات والأحداث في صورٍ متواصلةٍ في الحكي، جسدتها العين الإدراكية المباشرة، التي تحدثت عنها بحكم القرب المكاني، والاتصال الروحاني بها.

عبر هذا الاتصال في صورتيه: الواقعية والخيالية عن مشاعرٍ وإسقاطاتٍ كثيرةٍ من الطبقة الفقيرة، التي تشتدّ حاجاتها إلى الأرض، فتقبل أي حلٍّ ما يُقربها منها، كما فعل الخفير.

فاستطاع القعيد أن يقدم شخصياته في وجودها الواقعي في ذلك الوقت، وأن يفرز دواخلها الأثيرة لأرضها في مشهدٍ وصفيّ، يستثمر الحاسة الإدراكية للإدراك البصري، المتمثلة في وعي شخصياته بتفاصيل واقعهم وجزئياته، فتجوّل من خلالها الكاتب بحريةٍ شديدةٍ لاستكشاف أسرار الواقع، والتعرُّف عليه وعلى خباياه، ثم ينفذ إلى أثرِ هذه

الأبعاد الخارجية فى تكوين وعى الشخصية، وما يجرى بداخلها من انفعالاتٍ ومشاعرٍ وأفكارٍ وطموحاتٍ. وخلال ذلك تتضح الحساسية المتفوقة فى الربط بين التعرُّف على الواقع القروى والإدراك والتقييم من الشخصيات، ومن خلاله الجمع بين (التعرُّف، الإدراك، التقيّيم) اتضحت مصورة الأرض ووعيها داخل الشخصية فى مكاشفة النفس وتقييمها لصورة الأرض التى لا تمثل مجرد وجود كائن فى مساحةٍ جغرافية فقط؛ بل وجود أعمق بكثير من ذلك، يتسع فى زوايا الوعى الإنسانى تدريجياً لتصبح صورة الأرض هى السلوك الإنسانى غير المحدد برؤيةٍ واحدةٍ؛ أى أنها ليست موردا مادياً فقط، إنها جزئيات الحياة بكل تفاصيلها، والواقع بكل متغيّراته والحلم بثوابته، الهادفة التواجد معها، والربط بين الواقع والحلم، هما حركة الوعى الداخلى للشخصيات بكل مستوياتها فى السرد الروائى.

فالخفير، والشخصيات الأخرى فى الرواية يرون فى الأرض حياتهم، وأيضا أدوارهم.

يقول السارد:

"يقول بصوته العالي: منذ أن جئنا إلى الدنيا والعمدة ابن عمدة ومن نسل عمدة، وأما نحن فقد خلقنا لكى نتكفئ على الفأس العمر كله. ونموت والقدم مغروس فى الطين، والظهر قد تقوس من كثرة الانحناء. العمر كله انحناء. شعرت بالخوف يسرى فى جسمى مثل دبيب النمل عندما ننام فى الحقول وتسرح فى أجسامنا كل حشرات الأرض.[٣٩]

تُغرق حركات الحكى عمقاً فى تناقضات الواقع، وتُشكل المشهد الواقعى على المستويين: المشهد بحسّه التكوينى فى الواقع، وبحركته الملموسة داخل الشخصية.

جسد الكاتب أزمة الشخصية المطحونة بصورةٍ واضحةٍ فى الحكى على اعتبارها أزمة حدثٍ كبيرٍ بعد قوانين الإصلاح الزراعى، ثم أشبعها الكاتب بالألم والأمل فى الكشف عن عواقب هذا الحدث على حياتها، كنموذجٍ للطبقة المهمشة والمطحونة فى مجتمع القرية، والتى تولدت عنها أزمة العدالة الاجتماعية فى القرية المصرية.

لخصت هذه الشخصيات الثانوية، أو القسم الثانى، والقسيم الآخر للشخصية فى الرواية معاناة الفقراء وتداعياتها على حياتهم وواقعهم، وتصوراتهم لحياتهم فى إدراكٍ تامٍ لأساس المشكلة، فتشكلت رؤيتهم للواقع وللأرض فى سلوكٍ يجمع بين الأمل والتمنى.

وإلى جانب الشخصيات السابقة، جاءت شخصيات ثانوية أخرى مثل: شخصية (الصديق) الذى كان يخاطبه (مصرى) ليشاركه مأساته، والتى انتهت باستشهاده وعودته إلى قريته مع شخصيات أخرى، مثل الضابط والمحقق.

ساعدت هذه الشخصيات على دفع الحدث والاقتراب من هموم الفقراء، والكشف عن المؤامرة.

ولكن سطوة الشخصية الرئيسية: (العمدة) قد أسقطت كل المحاولات فى كشف مؤامرته.

صور الكاتب البُعد السكاني للقرية من خلال شخصيات الرواية، أو منظومة الكيان البشري الواقعي فى القرية، والمعبر عن قلاع البطش وسطوة القوى المالكة، والمؤكِدة على إيديولوجية الكاتب الخاصة، التي تثير قضايا العدالة الاجتماعية فى مجتمع القرية فى مصر.

وحول إثارة مفاهيم الحرية وتحقيق العدالة الاجتماعية فى مجتمع القرية المصرية تحددت رؤية الكاتب من خلال شخصياته، التى جسدت تلك المفاهيم فى فترةٍ تاريخيةٍ عقب قوانين الإصلاح الزراعى، والحكم الناصرى، وسلبياته على الفلاح المصرى.

لذلك قدمت هذه الشخصيات رؤية الواقع ومماثلته، لأنها تعلقت بحالةٍ تاريخيةٍ كانت موجودة فى القرية المصرية، إزاء الحكم الناصرى لمصر.

فقامت الشخصيات: الرئيسية والثانوية بالتمثيل الدلالى لكل ما أحاط بالقرية من قيمٍ اجتماعيةٍ وتاريخيةٍ فى ذلك الوقت، فكانت سمة نقدية واضحة فى الرواية، عبرت عن أزماتها، التى ولدت من رحم الطبقية الفاعلة بكل قوةٍ فى مصائر الذات الفقيرة. فنقلت أفكارها وآمالها عبر تتابع حركىّ مستمر مع العمدة والمتعهد فى الحوارات التى دارت حول الأرض – كما رأينا – فاستطاع عالم الشخصية فى الرواية أن يُؤلب التساؤلات التى تترجم الأفكار، وحركة الانفعالات المستمرة حول الأرض، والمحددة بالبيئة الريفية وتكويناتها، وفى سياقٍ متصلٍ بين الشخصيات والأحداث استمر الخط الدرامى للأحداث يفوح برائحة البيئة والأرض، والعناصر البشرية والثقافية فى مجتمع القرية المصرية، والموقوفة عند ذلك الماضى بقوانينه السياسية.

وأمام ذلك قدمت الشخصيات رؤية خاصة موسومة بفترةٍ معينةٍ تقوم على الطبقية والتملك للأرض الزراعية، فطابقت رؤية الشخصيات ثقافتها الزمنية والتاريخية، وترجمت رؤية المؤلف حول مجتمع القرية، وعلاقاتها، فطاف بنا فى معالمها وثقافتها وبيئتها، وأشخاصها الذين تحددوا فى تلك المنطقة فقط التى تضخمت فيها أزمات القرية، ليأتى صوت القعيد معبرًا عنها، فى لغةٍ تتشحُ بالأسى والنقد، وترسم فى اشتياقٍ شخصى كل معالمها من وجهة نظر الشخصية، التى تُحوّل هذا الواقع بكل مفرداته إلى صورةٍ للذات فى ثنائيتها المتناقضة، فمثّل العمدة: السطح الذى يغلب ويسود ويهيمن على القرية، وقدم الخفير: العمق الذى يخفى فى حالاته، وحياته آماله المتخفية وراء الحزن والأسى.

الأراض الـزراعية: (الجيوستراتيجى):

سعى (يوسف القعيد) منذ أولى كلماته فى الرواية إلى رفع وتيرة الإقناع عند المتلقى بالدور الحيوى الذى تُشكله الأرض الزراعية فى واقع القرية، وذلك من خلال التعامل الانتقائى معها، فى ربطها بواقع الأحداث وحياة الشخصيات، وتأكيدها على وثوقية الحدث التاريخى من خلال التركيز عليها فى الحكى والحوار، وما أحدثته قوانين الإصلاح الزراعي على واقع القرية؛ فجاءت صورة الأرض فى تكرارٍ متواترٍ على طول الرواية، لتمثل كل النشاطات الطبيعية والبشرية، والثقافية والجمالية أيضًا، وبرز تواصلها المستمر مع عالم الشخصية، وعلاقتها بالشخصيات، كأساسٍ جوهرى للحياة، وكقيمةٍ مادية ومعنويةٍ، تتسلح بكل البناء الاستراتيجى فى القرية، والمكان الذى يتمتع بقيمةٍ جماليةٍ عاليةٍ من وجهة نظر الشخصيات، "ذلك أن المكان فى الرواية لا يكتسب أهميته من مشابهته مكانًا خارج الرواية، أو مماثلته أو مطابقته له، وإنما يكتسب أهميته من علاقته بالشخصية الروائية، وقدرته على الكشف عن حالتها الشعورية.[٤٠]

فتواصلت الشخصيات مع الأرض: المكان - الدال فى الرواية -، والذى ارتبط بعلاقةٍ حميمةٍ شديدةٍ، صورها الوصف التفصيلى كأهم مكانٍ فى واقع القرية.

فظهرت "الأرض" مصورة ومتضمنة تلك الرؤى الحضارية والاجتماعية والسياسية فى رواية "الحرب فى بر مصر"، وعن طريق الذاكرة البصرية، ظهرت أبعادها الطبيعية والشكلية وإلمامها بالمفهوم والتعريف الجغرافى للقرية المصرية، كمحيط جغرافى ممتلئ بالحيوية والبقاء على المستوى الجغرافى، أو الإيكولوجى للقرية.

يشير مفهوم إيكولوجية القرية مباشرة إلى البيئة والنطاق المكانى لها، وما تحمله من أحداثٍ وعلاقاتٍ تجمع بين أبناء القرية فى بيئةٍ واحدةٍ، "تتشكل من مظهر طبيعى لمنطقةٍ ما تستطيع العين تقييمها والحكم عليها، وطبيعة الأرض فى القرية وبيئتها، التى تحيط بالشخص الريفى، وتؤثر على تفكيره بصورةٍ مباشرةٍ نتيجة ارتباطه بأنشطةٍ محددةٍ، تعتمد على الزراعة البيئة، والمكان الفيزيقى فى المجتمع الريفى".[٤١]

هذا المكان هو الأرض: المفهوم (الإيكولوجي) للقرية، الذي تنوع جغرافيًا ودلاليًا، متوزعا فى كل مكانٍ فى القرية، ومؤثرا على الواقع الاجتماعى، الذى انقسم إلى طبقتين: المُلاك والمستأجرين، وحول هذا المفهوم ركز السرد والحوار فى الجمع بين الوصف التفصيلى للأرض، والوعى الداخلى للشخصية.

الأرض:

تعد الأرض الزراعية أهم الموارد الطبيعية والمادية والحضارية والثقافية، داخل المساحة السكانية فى القرية؛ لذلك اتسمت بكل المميزات التى جعلتها قيمة أساسية، ترتبط على كل المستويات بالبقاء والحيوية.

انبنى الحكى ككلٍ متكامل فى الرواية على الاحتفاء بكل عنصر بيئى فى الواقع الريفى، وخاصة الأرض المخطط الحكائى والسردى فى الرواية، والذى تحوّل فى الرواية إلى سياقٍ حكائى يتحد فى "الأرض"، وتكويناتها التى اتصلت بالسياق والمعنى، لتوضح رؤية واحدة تمتد داخل الحكى عبر الزمان والمكان. مما يؤكد أن الأحداث أهم من الشخصيات، لأن الفعل هو الذى يؤكد المعنى الحكائى فى رواية القعيد، وهذا الفعل يكمن فى الصراع الدائر حول امتلاك الأرض الزراعية، وحول الأرض كمنتجٍ طبيعى، تحددت به الأقاليم فى قرى مصر المختلفة، فأصبحت الأرض هى العامل الفعّال فى حياة الفلاح فى ذلك المجتمع، لذلك اكتنفت الأحداث كل القوى المزايدة حول التملك، ودار الصراع والكشف عن دواخل الإنسان تجاهها.

فطغى الفعل أو الحدث على الرواية، "فالفعل هو الذى يقرر المعنى باعتباره العنصر الأساسى فى الحكاية، وأحد مكونات المعنى فى النظرية السردية الحديثة.[٤٢]

يقول السارد:

"واقتربت من الأرض - ولما كان عمر هذه الشجرة يعود إلى زمن المماليك والأتراك فى مصر."[٤٣]

ويقول "رجعت الأرض كلها".[٤٤]

ويقول "أصبحت أنظر إلى الغد نظرة سوداء كنت أخاف أن أموت قبل عودة أرضى إلىّ".[٤٥]

ويقول "سمعت بالأمس أن الأرض رجعت لأصحابها.[٤٦]

يقول السارد:

"فى البلد عرفتُ أن العمدة، بعد ذهابى إلى الجيش ماطل ولم يُعط والدى الأرض، أخذ الأرض منه أولا بحكم القانون الجديد - ثم سلمه قطعة منها بنظام المزارعة أو المشاركة، ورفض حتى كتابة ورقة بهذا الوضع الظالم.[٤٧]

"وكان أكبر خطأ وقعوا فيه هو تسليم الأرض.

ويقول: "اتضح لى أننا سنسلم الأرض للعمدة برغبتنا أو رغما عنا.

قرر البعض تسليم الأرض والذهاب إلى القضاء."[٤٨]

والبعض الثالث ساومه العمدة، وكان أبى منهم، أتت حكاية التجنيد وقال العمدة لأبى: ابنك مقابل بقاء الأرض. قبل الوالد وفرح البيت كله بهذا الحل، أما أنا فقد رفضت الأمر كله.[٤٩]

ويقول أيضا:

"تصورت خاصة الأرض. سمعت بالأمس أن الأرض رجعت إلى أصحابها القدامى، وأن أرض العمدة ستعاد إليه. كنت جائعا، وما قاله العمدة لى قدم لفمى لقمة أكبر من أفواه أسرتى كلها.[٥٠]

تتواصل السياقات الحكائية حول "الأرض"، ومحاولة الوصول إليها، وتتجدد الأحداث فى كل فصلٍ فى الرواية حول محاولة الاتصال بهذا المكان، الذى احتفظ بصورته فى الحكى، فأكسبه الراوى صورة حكائية، تجسد "الفعل" الملازم للأحداث، أو الحركة المتتابعة على التوالى فى الرواية، والتشكيل الذى أعطى الحكى والسرد سياقه المادى والفكرى، ويعود ذلك إلى امتداد الصور البصرية فى الرواية.

إننا أمام معادلات دلالية جديدة، تنتمى إلى ثقافة المكان وخصوصيته على اعتباره منتجا طبيعيا، ومؤسسا لكل الجوانب المادية والمعنوية فى حياة القروى، والواقع الذى يعيش فيه معبراً عن ثقافته وقيمه وحياته، وعمق تجربته، التى تجلت فى اتساقٍ تام مع بيئته الريفية، وما اكتنفته من ماضيه ومستقبله، وواقعه المادى والروحى. ودعتنا إلى التعرف على القرية فى ريف مصر فى فترةٍ تاريخيةٍ محددة، كانت فيها الأرض جوهر الحياة، أهم مكتسبات الإنسان فكانت مهمة يوسف القعيد التى لم تتوقف فى معظم أعماله الروائية فى حديثه عن الأرض، والتى جعل لها فى روايته رؤية خاصة للمكان: "الأرض".

خصوصية المكان، أو المعنى الخاص للمكان فى الرواية: "التخصيص"

عندما يُحدد السرد رؤية خاصة لمكانٍ ما، عن طريق تكراره، والتخصيص المركز عليه فى الخطاب الحكائى فى الرواية، فإنه يصبح المركز الرئيسى للمعنى، والمؤسس الأساسى فى إنتاج الدلالة العامة فى الرواية، فيأتى مستوعبًا للبعد الواقعى والعاطفى للحالات البشرية التى تعيش معه، وترتبط به، ليصبح مركز حياتها ومنتجًا لثقافتها، وتطلعاتها.

ومن منطلق هذا المفهوم عن خصوصية "الأرض"، وعلاقة الإنسان بها "علاقة تقوم على الوجود والمصير، الذى يعبر عن مناحى الحياة.[٥١]

خصص الحكي الروائي صورة متفردة للأرض، تنتقل من معنى إلى معنى آخر، فتتواتر فى صورٍ بصريةٍ كثيرةٍ.

وكما جاء فى الحوارات السابقة بواسطة التكرار من خلال الذاكرة البصرية لوجوده، والتي ساهمت فى جعله قويًا ومؤثرًا، وساهمت فى اكتمال الصورة الإدراكية له فى الذهن، مما جعله يأخذ صيغة الجمال والخلود والأبدية؛ لأنه التحم بجسد البنى السردية، وجسد الرؤى والأحداث، لذلك لم يكن مستقلاً عن الذات؛ بل هو الذات بعينها، لأنه أبصر الحياة بكل مفرداتها، "فشكل المكان خبراتها وخبرات الواقع المعيش، الذى حوَّله من مكانٍ واقعى إلى لغة فنية وثقافية يحددها الوعى الإنسانى بأبعاده فيصبغ عليه جمالية وقيمة استاطيقية، تأتى من خلال الارتكاز عليه والفاعلية القصدية له[٥٢].

وفى صورة الأرض، التي طرحت إشكالية الواقع الريفى بين الطبقتين: المالكة للأرض الزراعية، وطبقة المستأجرين برزت أدوارها فى الحكى، فقدمت خلفيات واقعية ونفسية لمفاهيم التناقض، حول "الأرض".

فتواصل الحكي مع هذا الوعى الشعوري لدى الجانبين فى الرواية: الوجود الرأسمالي، والطبقة الفقيرة.

ومن هذا المنطلق صاغ المكان حياة الإنسان، أو قدمت الأرض صورة واضحة لمجتمع القرية بكل جوانبها الواقعية والخيالية. كذلك جاءت بعض الأمكنة الأخرى، مثل البيت - والدوار - والشقة - والحقل - والمركز - والناحية، تتفاوت من حيث الصغر والكبر على امتداد الرواية.

فيأتى البيت حاملاً دلالات التعايش والألفة، وتأتى الأرض المكان الخاص فى الرواية حاملاً للرؤية الأيديولوجية عند الكاتب.

يقول السارد:

"خرجت من البيت، قال الناس فى البلد ورغم كل هذا أقول: أننى أحب وطنى أحب برّ مصر، وعبادة النيل تجرى فى دمى.[٥٣]

- اقتربت من الأرض ... [٥٤]

- "وصلنا مركز إيتاى البارود: بعد قرار عودة الأرض، فاحت رائحة نوم النهار.

- لم يكن عندى فى الدوار. [٥٥]

جو الخريف الذى لا طعم له يحيط بنا من كل ناحية، أصبحت السيارة على الطريق الزراعى. مررت على مصر. وأصبحنا على الطريق الترابى. كان ينبعث ضوء نار هادئة على الأرض.[٥٦]

تتنوع أشكال المكان فى ترتيب ٍديناميكي يتواتر فيه من حيث الصغر والكبر، والألفة والأنس به، فترى العين: البيت، والشقة والدوار، ثم المركز، فتشير صورته الإدراكية للذاكرة البصرية إلى تنوعه وأدواره فى تشكيل ملامح الشخصية.

لأنها الموطن البشرى الذى يتفاعل معه الناس فى بيئاتهم المختلفة، "وقد تعرضت الجغرافيا المعاصرة فى نظرتها الجديدة للعلاقة المتبادلة بين الأرض كموطن للإنسان والتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ ومن هنا تصبح الجغرافيا: علما اجتماعيا يُعنى بفهم وتحليل المظاهر الثقافية وعلاقاتها بالمكان، ودور المكان فى رسم ملامح الشخصية".[٥٧]

وقد تعمقت الرواية فى هذه الأبعاد المكانية والاجتماعية فى الوصف التفصيلي للقرية، لكنه ركزّ على المكان الدال (الأرض)، وجعل لها رؤية خاصة فى الحى والحوار تقوم على حمل خبرات الواقع والنفس، والتمثيل الخارجى والداخلى للقرية ونماذجها البشرية المتنوعة.

أخذت "الأرض" هذا البعُد الإدراكي فى الرواية، فعكست منظورات دلالية لحيزّ القرية وحيزّ الوعى الإدراكي، فتناولها الكاتب معتمدًا على التعرُّف، والإدراك، ثم التقييم الدلالي والجمالي لها، لأنه ارتبطت بكل طورٍ تاريخي واجتماعي وبشرىّ فى القرية، فحملت هذا المفهوم الجمالي للمكان الدال، أو المكان الذى يمكن أن يكون حدثاً فى ذاته، لأن الكاتب يُصوره مرتبطًا بالإحساس الداخلى عند الشخصية، وهو إحساس يتماشى مع طبيعته التى تكشف عن أهميته، خاصة إذا ارتبط بالخصب والنمو الذى يتماشى وطبيعته الجغرافية والسكانية؛ لذلك يفقد الإنسان حالته ويشعر بالضياع من دونه".[٥٨]

خلقت "الأرض" هذه القيم الدلالية والجمالية، وذلك من خلال ارتكاز الكاتب عليها، وربطها بكل الأحداث، لأنها مستوى التغيّر والتطور فى الحدث التاريخى الذى قدمه الكاتب، فكانت هى "المثير" وأساس التحفيز عند الكاتب فى كتابته رواية الحرب فى برِ مصر، لأنها "المثير" الذى خضع لتنازع بين التاريخى - قوانين الإصلاح الزراعى - والفردى، بحكم وجوده القائم فى ذلك المكان، وخصوصيته التى تعكس طبيعة البشر فى كل مراحلهم التاريخية، لذلك عكست الأرض فى الرواية مفهوم المكان / الدال على الحاجات الإنسانية، والمثير الذى يجمع كل المكونات التاريخية والفكرية والاجتماعية؛ لأنه اصطبغ على مرِّ العصور بالهوية البشرية فى القرية، والتواجد المستمر داخل الوعى الداخلى.

مثلت "الأرض" هذه الأبعاد الدلالية لنظرية جغرافيا الإدراك للعقول البشرية، والتى تشير إلى معنى أشمل لعلاقة الإنسان بالأرض: معنى يحقق المثل الجمالى، أو التعريف الجمالى، الذى يحلّ فيه المكان فى الشخصية، فتصبغه الشخصية بكل معانى الحميمية والالتصاق.

فكانت "الأرض" بصفةٍ خاصةٍ هى المعبر عن كل هذه الدلالات، لأنها أساس الموقف والحدث، قدمها القعيد من خلال مفهومها الجغرافى فى القرية، معتمدًا على صورها البصرية، وارتباطها بالكيان البشرى الموجود فى القرية، ومن خلال هذا الثالوث القروىّ: خصائص القرية ومميزاتها، الأرض، البعد السكانى. تشكلت جغرافية قرية "الدهرية".

وفى إطار هذه المنطقة الريفية، تجسدت المعطيات الجغرافية: أشكال المبانى، وعادات الأفراد وسلوكيات البشر، أهم القيّم والموروثات التى شكلت كيانها، وصنعت لها سمة ثقافية خالدة، انفردت بها "الأرض"، فشكلت الحدث والصراع، والوعى الداخلى، والهوية.

فحملت معانى تتدفق بالحياة الواقعية وتُعلى من شأن المضمون الواقعى فى السرد. والذى ارتبط بها وبخصوصيتها فى مجتمع القرية، وبالقيم السائدة حولها، والرؤى المتناقضة حول الامتلاك والتملك، هذا البعد القيّمى والحضارى فى القرية المصرية.

ألح عليه الكاتب بصورة مباشرةٍ، وغير مباشرة عبر الصور الواقعية للذاكرة البصرية، التى وصفت الأرض فى مستواها الجغرافى أو الوثائقى، الذى يُصرح بكيانها المادى داخل القرية، فيقول السارد فى الرواية فى مواضع كثيرة جدا: الأرض على مستوى الزمام، الناحية القبلية من الأرض، أرض العمدة المكوّنة من أكثر من مائة فدان باتجاه البلد .. استعان الحكى بهذا الجانب الجغرافى، المرتبط بالنظم والعادات والمستوى المعيشى، التى شكلت المفاهيم الراسخة عن الأرض ودورها الحيوى فى مجتمع القرية، لذلك فهى البُعد الجيو ستراتيجى فى قرى مصر.

وقد شغلت الأرض هذا الدور المكاني فى الأحداث، والذى أشار إليها كهدفٍ حقيقى وراء كل سلوك، انشغل بها ورأى فيها كل مفردات الحياة.

لذلك استندت الأحداث إلى خريطتها الجغرافية فى قرية (القعيد)، التي لم تتوقف عند صورتها الخارجية؛ بل صورتها الروائية كدلالة للتمنى والتخيّل فى تحقيق الرغبة، فى ظلّ حدثٍ تاريخى كبير، أفقد البعض توازنه، فأسمعنا الكاتب أصواتهم الثائرة حول ما يحدث للأرض، وعن طريق توظيف صورتها من خلال الذاكرة البصرية، الممتلئة بالوعى الشديد بالتفاصيل والجزئيات المكانية والزمانية، ظلت الشخصيات تراقب وتصف، فارتبطت الصور بالإدراك الداخلى، المتعلق بالأرض، ليس فى كونها صورة مادية؛ بل لأنها علاقة حياتية تُشعّ بالارتباط الحميمى المتعلق بالأرض.

ولعل هذا ما قدمه (القعيد) من مفهومٍ جديدٍ لعالم القرية فى السرد المعاصر، يشير إلى جغرافيا الإدراك، أو نظرية الأرض اللابديهية: أى التى لا تُحدد بقيمتها الجغرافية فقط؛ بل تحدد فى مفهومٍ أشملٍ من ذلك، يعبر عن صورتها فى الإدراك والوعى الذاتى، الذى يُنتج لها مفهوما شاملا، يحتوى الذات بكل انفعالاتها.

ثانيا: خصائص القرية.

تأتى خصائص القرية وسماتها التي تميّزها فى الرواية فى مجموعةٍ من الصور الوصفية لمناخها وجوها، ومجموعة العادات والتقاليد المتوارثة والممتدة عبر ثقافتها العريق، التى ارتبطت بهذا الوجود المكانى المنفصل عن المدن الكبرى.

- المحطات المناخية والثقافية

وفى مجموعةٍ من الصور الوصفية لمناخ القرية انشغل الحكى والحوار على هذه التيمة المناخية، والمناظر الطبيعية: للحقول الخضراء، والساقية. فى رواية الحرب فى برّ مصر.

يقول السارد:

"عندما كان والدى يواجه موقفًا مثل هذا، كان يضحك وعيناه اللتانِ فى خضرة الحقول وقت الربيع تلمعان، كان يبتسم ويقول: إن طريق أبو زيد كله مسالك"(٥٩)

ويقول أيضًا:

"الفلاح يشم رائحة الفلاح مثله، ولو كان فى الصين، سمعنى أتكلم على الباب، اقترب منى، سألنى عن بلدى، قال لى: إن لغة الكلام ومخارج الأحرف من فمى ذكّرته: بالساقية والحقل والنورج والطنبور."(٦٠)

تصف الذاكرة البصرية مجموعة من الصور البصرية والسمعية والشمية التى تندرج فى الملاحظة من مكانٍ إلى مكانٍ آخرٍ فى المحيط الجغرافى للقرية، عبر امتداده فى الزمان والمكان.

فحددت هذه الصور البصرية سمات القرية وخصائصها المناخية والطبيعية، ومجموعة المفاهيم المكانية المتنوعة: الساقية، الطنبور، الحقول ...، والتى جاءت على لسان الشخصيات لتوحى بتركيب المجتمع الريفى، وهويته الطبيعية. وقد صورتها مجموعة من العناصر المكوّنة للمنظر الطبيعى فى الرواية: المحطات المناخية التى تعبر عن الجو والطبيعة الريفية.

فحملت مجموعة الصور المكانية السابقة مشهدًا طبيعيًا مكونًا لجغرافيا القرية، بأماكنها المتعددة، وما تشير إليه من تركيبٍ لمجتمع القرية، وسماته الطبيعية والبشرية والثقافية فى مفهومٍ محددٍ للبيئة الريفية، يمتلئ بالحيوية والحظوظ الأساسية لهذا الواقع، ومدى اتساعه وارتباطه بالشخصيات.

وعن طريق توظيف هذه الصورة البصرية التى تحمل، الأماكن المتعددة فى واقع القرية فى مركز إيتاى البارود، تصطف الصور البصرية المملوءة بالحركة والألوان الطبيعية، التى حيثما وُجدت وَجدت الشخصية نفسها فى بيتها، وأرضها وجوها، فمنحتهم ظلالها الداخلية، كما يقول السارد: "إن الحياة نفسها عادت إلىَّ، وليست الأرض فقط".

يشير هذا المقطع إلى جوهر الرؤية فى الرواية عن الأرض: المكان الذى تتسرب من خلاله الحياة، مهما مضت الأزمنة، والذي يبقى صورة حضارية ثابتة فى واقع الريف المصرى بصفةٍ عامةٍ، فهو المعبر عن المعنى الخاص للمكان بكل معطياته البيئية والمناخية والثقافية والاجتماعية، كذلك هو المعبر عن الهوية الشخصية وارتباطها الشديد به.

يقول السارد:

"جلس على رأس الحقل وأنزل قدمه فى قناة المياه، نحن فى أواخر الربيع ورائحة الصيف بحرارتها بدأت تتسلل إلى الجو والحقول مليئة بالخيرات هذه أحلى أيام السنة.(٦١)

أخذت الفأس والشرشرة. خبأتهما تحت الشجرة. اتجهت إلى حاصل الساقية به بعض المياه الراكدة.

ويقول:

"كنت أجلس أمام دوار العمدة، الليل غويط ملىء بأصوات ريفية غامضة.

كانت المرة الأولى التى أرى فيها الريف جيدا."(٦٢)

ويقول: "كان المشوار شاقًا، وجوّ الخريف الذى لا طعم له يحيط بنا من كل ناحية، الشمس الصفراء الباهتة اللينة فى جوها."(٦٣)

يتعاظم الدور الوصفى للصورة البصرية، التى تتعرض لكل المفردات الجغرافية فى القرية، فتقدم للمتلقي تعريفًا جغرافيًا لمناخ القرية فى الرواية.

يخرج هذا المفهوم من احتفاظ الصور البصرية السابقة بحالة من التعلق الشديد بالحياة، والبيئة فى واقع القرية، وتلك الذكريات الآسنة فى الذاكرة، والتى اكتست بحالات التعايش، فظهرت مستندة إلى الوعى الإنسانى بمفردات القرية، والوعى الداخلى بأثر البيئة على الإنسان. وهو ما أسماه علماء الجغرافيا المعاصرون "بالبعد السيكولوجى، أو الشخصى فى العلوم الاجتماعية. فقد تم التوصل إلى واحدٍ من أعظم الاكتشافات فى علم الجغرافيا

الحالى. "يتلخص فى الدور الأساسى الذى يمثله الإدراك بما يدور حولنا، فعندما نرغب فى رسم أو تشكيل صورة ما. صورة القرية، يُمثل الإدراك الوظيفة النفسية التى تسمح لنا من خلال الحواس باستقبال وإعداد المعلومات المسجلة فى الذاكرة، والتى تؤثر فى الأحكام والتصرفات البشرية. وهى ما نادى به أصحاب الجغرافيا المعاصرة جغرافيا الإدراك للعقول البشرية."(٦٤)

وجغرافيا رواية "الحرب فى بر مصر"، والتي نقلت عن طريق الحواس والصورة البصرية هذه الهوية البيئية والشخصية، فجسدت نوعًا من الإدراك ذا طبيعة خاصة وصيغة خالدة، لمجتمع القرية، وعلاقاته بالأماكن، والمحطات المناخية، والثقافية: التي برزت فيه الأرض؛ أهم مصدر طبيعى وثقافى، يُمثل حالات التواصل الحياتي فى القرية المصرية، "وعلى الرغم من أنه لابد للمجتمع الريفى أن يكون مجتمعًا متعاونًا بحكم وجود الأرض الزراعية، التى تُعد عصب الحياة، وأهم أدوات الإنتاج الذى يُؤمّن للفلاح حياته، فالقرية المصرية من صميم تركيبها وسيكولوجيتها وزراعتها، هى مجتمع متواصل بحكم طبيعة الجغرافية، لأنه يمثل خلية بشرية واحدة، ولكن مع تطورات الأحداث السياسية، وسطوة أقلية تملك ولا تعمل وأغلبية تعمل ولا تملك، انقسم المجتمع الريفى إلى الذين يَملِكون والذين يُملكون."(٦٥)

اختصرت المقولة السابقة المنظور السردي لواقع القرية المصرية، ولعناصرها وخصائصها التى برزت فيه الأرض: العنصر الأساسى والخاصية المتفردة بذاتها، من كونها تّعبر عن حدثٍ تاريخي وواقعي هامٍ قصده (يوسف القعيد) فى توظيفه: الأرض / المكان الدال، الذى طرحه السرد من خلال الشخصيات وارتباطها به، ليمثل الواقع الاجتماعي بعد قوانين الإصلاح الزراعي وسلبياتها على الفلاحين الفقراء، وعدم مراعاة العدالة الاجتماعية فى ذلك المجتمع الصغير.

وقد أمكن الكاتب تصوير رؤيته من خلال التواتر والتكرار للأرض، ومدى فاعليتها، وخلقها لمجتمعٍ تتباين فيه الطوائف البشرية، التى مثلت أحاسيس مختلفة فى الرواية، متشبعة بالألم والفقر، بسبب فقدانها للأرض: رمز الخصب والنماء، الذى يتماشى مع طبيعة القرية الجغرافية والسكانية، لذلك يشعر الإنسان بالضياع، ويفقد توازنه إذا بعد عن أرضه الذى حلت فيه وحلّ فيها.

<u>يقول السارد:</u>

"فى الريف أولاد الناس من يمتلكون أكثر من مائة فدان للرأس الواحد، كل من لا يمتلك أى مساحة من الأرض فهو من النوع الثانى من الخلق."(٦٦)

<u>ويقول أيضًا:</u>

"كان والدى يقول: إن الخلق فى بر مصر نوعان: أولاد الناس وأولاد الكلاب فى الريف. أولاد الناس من يمتلكون الأرض."(٦٧)

ظلت "الأرض" هى المفهوم الجغرافى للقرية، والمعنى الخاص للمكان فى الرواية والوجه الأول والأخير الذى يطالعنا فى كل لحظةٍ من لحظات الخطاب الروائى عن طريق توظيف الذاكرة البصرية له، والتى جسدته فى رؤيةٍ ديناميكية للإدراك، تواصلت مع الحكى المتنوع من فصلةٍ إلى فصلةٍ أخرى، تتنقل من مكانٍ إلى آخرٍ، لتعود إلى الأرض، المصدر الأول للتمويل المادى والمعنوى وأهم الثوابت الحضارية من المهد إلى اللحد فى مجتمع القرية.

وقد تكررت على مستوى الرواية أكثر من خمسين مرة. مُشددةً بالتكرار والخصوصية الثقافية لها، فجعلها القعيد صميم العمل الروائى، وباتت هى المجسد للحدث وللمنظور السردى للمكان/الدال.

ارتبطت بها كل شخصيات الرواية (العمدة، والمتعهد، والخفير، ومصرى).

وعبر الحكى والحوار استغرقت الشخصيات فى الحكي عنها على اعتبارها المكان القريب إليها، والأليف إلى دواخلها، "إن المكان الأليف هو مركز التكييف الإنسانى مع الواقع والخيال، وعندما نبتعد عنه نظل دائمًا نستعيده فى الذاكرة، ونستيقظ على مظاهره المادية.

ذلك الإحساس بالحماية والأمن اللذين يوفرهما المكان مثل: البيت، أو المكان الذى نشعر بالارتكاز الوجودى داخله لأنه يمنحنا الأمن والحماية.[٦٨]، مثل الأرض: القيمة المادية والمعنوية فى السرد الروائى، والمرتبطة بالعادات والتقاليد الاجتماعية.

العادات والتقاليد، والنظم الاجتماعية والثقافية للقرية.

تمثل عادات القرية وتقاليدها رؤية تحمل بعدًا اجتماعيًا وأخلاقيًا، يصور علاقات الشخصيات على المستوى المعيشى بين أفراد القرية، وما يحملوه فى دواخلهم من قيمٍ متوارثة، شكلت طبيعتهم الفكرية والاجتماعية.

وقد بدأ الفصل الأول فى الرواية والذى جاء تحت عنوان "العمدة"، حاملاً لبعض عادات القرية، وعندما بدأ يحكى "العمدة" عن حياته وعلاقاته بزوجاته، اتضحت بعض معالم العادات المرتبطة بالطبقة الثرية فى القرية، وخاصة فى الزواج من أكثر من واحدة، فيُطلِق المجتمع الريفى على الزوجة الأولى: الست الكبيرة بتعبير أهل القرية المتوارث، كذلك حكت الشخصيات الأخرى: المتعهد والخفير عن هويتهم، التى صورت كيانا بشريا مرتبطا بعادات القرية ونظمها، وصورت أيضا مدى ارتباطهم جميعا بالأرض.

وعن طريق الحكى، أو السرد الصوتى من فصلٍ إلى فصلٍ آخرٍ، اتضحت المعالم الداخلية للعادات فى الريف المصرى فى ذلك الوقت، وذلك من خلال الحكى، وحكايات الزواج والأولاد، فجسدت الحكاية رؤية الشخصية عن حياتها؛ "لأن الحكاية تحكى حياة، وتجعلك ترغب فى معرفة ماذا سيحدث فى المستقبل، لذلك تعد الحكاية هى العمود الفقرى للرواية لأنها تقص حوادث حسب ترتيبها الزمنى، فتجعل عند القارئ حافز الاستطلاع المستمر".[٦٩]

فيقول السارد:

"ومن عاداتى فى الفترة الأخيرة أن أقضى الليالى كلها فى حجرة زوجتى الأخيرة. وقد يقول البعض إنها المرأة الجديدة، وكل جديد وله طعمه الخاص، هذا غير صحيح، زوجتى الأخيرة ليست جديدة، لى معها سنوات ليست قليلة، ولكن سرّ تمسكى بها أحب حجرتها أكثر من غيرها.[٧٠]

ويقول:

"قلت أن الأولاد فى البيت مثل حبات الأرز، ولكن بعد عودتى إلى المنزل حزنت على نفسى وازداد حبى لأصغر أبنائى. قال الناس فى البلد أن سبب هذا الحب، أنه ابن الزوجة الأخيرة، الفتاة التى فى سن أولادى.."[٧١]

ويقول:

"ابنى البكرى أعفى من الجهادية، أما الذى يليه، وهو الذى نسميه فى ريف مصر فوق رأسه".[٧٢]

ويقول:

"العمدة أحد أغنياء الناحية، ولكن الأغنياء هم الذين يفاصلون فيما أطلبه من مبالغ، الفقراء يدفعون دون أخذ وعطاء، قلت فى نفسى إن نصف العمى خير من العمى كله".[٧٣]

ويقول:

"أجرت شقة إلىّ هناك وتزوجت، زوجتى الثانية كانت من نساء البنادر البيض".[٧٤]

يتسع حكى الشخصيات فى الدخول إلى تفاصيل الحياة الاجتماعية فى القرية، وبعض عاداتهم فى الزواج، وتسمية الأبناء، والثقافة المعروفة لديهم عن أهل المدن، أو البنادر كما يقولون، تأسس الحكى على هذه العناصر الاجتماعية، والتى بها تكتمل الصورة العامة لمجتمع القرية، بعاداته وثقافته، أو التكوين الاجتماعى والثقافى لمنطقةٍ محددةٍ، ومغلقةٍ على عاداتها وثقافتها، غير أن السمة الفارقة التى عوّل عليها الحكى فى رصد ثقافة القرية، هى الأرض: أتون التجربة الروائية، والتحصيل التاريخى الوثائقى للعادات والأنظمة الاجتماعية والحضارية والثقافية فى القرية.

وتحت صورتها التى التحمت بكل البنى السابقة، أصحبت المناخ الأساسى فى السرد والحكى، وممثل التحوّل فى الريف المصرى بعد صدور قوانين الإصلاح الزراعى، لذلك التصقت بكل مجريات البناء الفنى فى الرواية: الحكى، والوصف، والشخصيات، والزمكانية، ومفردات الوعى الإدراكى، وعتبات النص الروائى.

عتبات النص الروائى:

تحمل بدايات الدخول إلى عالم النص الروائى إشارات الرؤية الدلالية لرواية الحرب فى برّ مصر ، بداية من العنوان، وبعض الجزئيات الاستهلالية فى فصول الرواية، والتى تشير إلى المفهوم الجغرافى للقرية.

تبرز عتبات النص الروائى مجموعة من الوظائف الكثيرة فى التعريف بالنص، ودلالته الرمزية منذ بداياته، فتتسع عتبات النص بداية من العنوان: العتبة الأساسية فى الرواية إلى رؤية الأعماق الدلالية التى يقدمها المتن الروائى.

أولا: العنوان:

"مصدر التحفيز الاستطلاعى لدى المتلقى، والذى يمتلك إثارة هائلة فى التقديم إلى النص"(٧٥)

بنية العنوان (الحرب فى برّ مصر).

يميل العنوان إلى مرجعيةٍ تاريخيةٍ وتحديدٍ جغرافيٍ على المستوى الزماني والمكاني، وهو ما يعنى أن هذه العتبة فى عالم الرواية تتوخى الالتقاء بحقل التاريخى: "الحرب" والتى قصد بها الكاتب حرب السادس من أكتوبر، والجغرافى، وهو بر مصر.

فقد كان أهل القرى الريفية يسمون مصر بهذا الاسم: "بر مصر".

فمثل العنوان حقبة تاريخية متأزمة من ناحيتين: الحرب فى بر مصر بكل تداعياتها. والحرب الداخلية بين القوى المتصارعة فى مجتمع أهل الريف المصرى. وبذلك يكون القعيد قاصدًا هذه العتبة الأولى فى حدودها الزمانية والمكانية، ليتوسل بها فى اختزال الواقع الذى يعبر عن معنى أيديولوجيته الحريصة على تصوير الصراع الطبقي فى القرية.

فراح الكاتب يترجم هذه المعانى منذ البدايات الأولى فى العنوان، وكذلك براعة الاستهلال التقديمي فى أول كلمات الرواية التى يتلمس منها المتلقي أصوات الفرح والسعادة بعودة الأرض.

الاستهلال التقديمى فى الرواية، يلتمس حرفيات القرية، وعالمها، ومفرداتها البيئية، والبشرية، والحضارية.

يقول السارد:

"نظرت إلى الناحية القبلية لابد وأن قالب الطوب الأحمر الموضوع تحت رأس والدي قد ذاب الآن، قال لي قبل وفاته، أنه لن يستريح وأرضنا مع الغرباء"(٧٦)

ارتبط العنوان وبعض المفتتحات الاستهلالية فى الخطاب الحكائي فى رواية "الحرب فى بر مصر" بآفاق المكان، الذى انفتح بدوره على آفاقٍ تعبيريةٍ وتصويرية، تتأمل العلاقة بين الجانب التصويري لمناظر الحياة فى واقع الريف

المصري وخاصة صورة الأرض - والجانب الذاتي الذى لا يقدم سيرة ذاتية بالمعنى المعروف للسيرة، ولكنه يقدم روح الذات، عندما تتلبس بالواقع وتنشغل به، وبهواجسه التى لا تنفصل عن الإنسان.

فجمع العنوان، هذا الموقف الحكائي من خلال تعدد الأبعاد النفسية للذات والوقائع الخارجية فى تضامنها وألفتها وارتباطها بالمكان، وكذلك البيئة والمحطات المناخية، التى رصدت الأبعاد النفسية للذات أيضًا، فتحول الموقف الحكائى من سرد أفعالٍ وأقوالٍ إلى صورةٍ إدراكيةٍ تتضامن مع البيئة والمكان، والذى تأسس بينهما الانسجام الفعَّال فى الرواية.

يقول السارد فى مفتتح الفصلة الأخيرة فى الرواية والتى جاءت تحت عنوان "المحقق".

"تستهوينى لحظة انتصاف الليل، أتعامل معها على أنها حد فاصل بين يوم انقضى أمره، ويوم لا نعرفُ عنه سوى اسمه، ورائحة الشتاء مقبلة تنشر فى الليل. ها هو ليل الريف فى الأيام الأخيرة من رمضان.(٧٧)

انتزعت هذه المشاهد البصرية من البيئة الريفية من خلال علاقة الإنسان بها، وعلاقته بالمكان والذات فى رؤيةٍ واحدةٍ.

وأظن أن القعيد خلق من هذه الصور البصرية نوعًا من التماهى، معتمدًا على رؤية الواقع من خلال الذوات المتعددة فى الحكى.

ثانيًا: أسماء الشخصيات:

حملت أسماء الشخصيات صورة واضحة للبعد السكانى فى القرية الذى عكس حركة الواقع الرأسمالى فى ذلك الوقت، لذلك جاءت عناوين الفصول معبرة عن فاعلية الإنسان وعمله داخل هذا النطاق الجغرافى، فكانت عتبات الفصول الروائية حاملة للنظام الاجتماعى فى القرية، وما وصل إليه البشر فى صلتهم العملية بعالمهم وطبيعة علاقاتهم.

فبدأت الفصول الروائية بأسماء شخصيات، هى إشارة إلى مجتمع القرية، وهم: "العمدة، المتعهد، الخفير".

وتمثل هذه الشخصيات الأنظمة الطبقية فى القرية، والتى قصدها الكاتب، ليكشف عن التناقضات فى مجتمع القرية، ومن الذي يجسد الرأسمالية، والنفعية، ثم من الصورة الأخرى للقهر والسيطرة: "الخفير، ومصرى".

ويصبح "مصرى: عتبة دلالية يقدم النموذج العالى فى قوة الاحتمال، والروح المصرية التى تختزل الواقع بكل متناقضاته، كذلك الشخصيات الأخرى التى مثلت مجتمع القرية فى مصر: "العمدة، الخفير، الفلاحة، المتعهد"، تنتمى هذه الأسماء إلى مجتمع القرية فى مصر.

وقد كانت الشخصيات من أهم عتبات النص الروائى، كذلك دورها فى إثراء ودفع الأحداث وتطورها.

وقد تنبه القعيد إلى الطبيعة غير الإنسانية للنظام الرأسمالى عقب ثورة يوليو ١٩٥٢م، وقوانين الإصلاح الزراعى، وما أحدثه من صياغة مخاوف المصير لدى الطبقات الفقيرة.

ثالثًا: دلالة الصوت:

هناك دلالات عديدة للصوت فى الرواية، والصوت هو التعبير بصوتٍ مرتفعٍ عن الفرح، أو الصدمة. وظفه القعيد فى بدايات الفصول الروائية، ليخلق دلالة استهلالية عن وقع الأحداث على مسامع الشخصيات، واستمر الصوت فى الرواية معبرًا عن الحكى، واستحضار صورة الذات مع الواقع.

يقول السارد فى أول كلمةٍ فى الفصل الأول من الرواية:

"أول يومٍ يدخل قلبي الفرح، رجعت الأرض وانطلقت الزغاريد والبنادق، ولم تسكت أصوات الفرح.(٧٨)

ويقول السارد فى أول كلمات الفصل الثاني، الذى جاء تحت عنوان "المتعهّد":

"وعندما يمرُّ الناس أمام بيتى، يقولون بصوتٍ عالٍ: نوم الظالم عبادة."(٧٩)

ويقول السارد فى بداية الفصل الثالث فى الرواية:

"هذه اللحظة تكون الناس يقظة، وأصوات الحركة تملأ الدنيا."(٨٠)

جاء الصوت فى بدايات الرواية معبرًا عن تحوّلات العالم الخارجى، ورسم ملامح الشخصيات فى رؤيتها للأحداث، انفعالها، واستمر فى الحكى، يرسم دلالات التمنى والأسى، والأمل فى تحقيق الرغبة، فكشف الصوت عن مشاعرٍ مختلفةٍ فى عالم الشخصيات، كشفت عن علاقاتها بالحدث. فانطلقت معبرةً عن الحضور المتواصل مع الأحداث، فجاء الصوت كوسيلةٍ للتمنى والفرح والتخيّل، وأيضا للصراع والحزن فى ذروة الأحداث.

يقول السارد:

"وفى هذه الحالة نتحرك فورا بشكلٍ جماعىّ، قالوا إن يدًا واحدةً لا يمكن أن تصفق أبدًا. هاج مصرى بصوتٍ عالٍ. سندفع حياتنا ثمنًا للأرض."(٨١)

ويقول:

"حاولت أن أتذكر كل ما أعرفه عن الفلاحة، تناوبت الكلمات والدموع، ومن الصدر الخاوى انتحابة مضطربة. كان صوت بكائها مثل هديل الحمام."(٨٢)

جسّد الصوت ملامح الشخصية وانفعالاتها، فكان له أثره فى خلقّ دلالات التمنى والفرح، والحزن الأسى، ولعل هذا يعبر عن تحوّلات العالم الخارجى فى واقع القرية.

جاءت عتبات النص الروائى فى (رواية الحرب فى برّ مصر) بداية من العنوان، الذى أسس لدى المتلقى جانبين: الأولى "الحرب" بمعناها المادى، والثانى: الحرب بمعناها المجازى أحيانًا فى مجتمعات تطغى عليها بعض الجوانب المأساوية، مثل مجتمع القرية، الذى انقسم إلى طبقتين: طبقة الملاك، وطبقة المستأجرين للأرض، وكذلك عتبات الشخصية، وعتبات الصوت، فشكلت عتبات النص الروائى دفعًا معرفيًا للقارئ، ليستكشف من البدايات علاقات معينة، تربط بين البدايات والأحداث، فتتكون معرفة بدائية لدى المتلقى عن أحداث الرواية، ومجرياتها، كانت عتبات النص دفعًا معنويًا للدخول إلى عالم الرواية بكل أبعاده وخلفياته.

فساعدت عتبات النص الروائى فى تمثيل هذه الحركة فى السرد وفى الحكى، "وتلك الوظائف الدلالية لعتبات النص تمتلك خاصية هامة، قد تساعد النص فى خلق دلالاته، وتساعد القارئ أيضًا فى تأويل المحكى الروائى." (٨٣)

جغرافية اللغة فى الرواية:

قرية الكاتب هى نتاج لمجموعةٍ من التفصيلات الحياتية التى نحسّها من لغته وحواراته، وتعاريج بيئته بكل طقوسها الكبيرة والصغيرة، وتلك الأسئلة العميقة المشحونة ألماً وأملاً، والتى نراها متحققة فى السرد والحوار، وما حملاه من لغةٍ تخاطب المتلقى من خلال أشخاص الرواية. "إن أشخاص الرواية يجب أن يخاطبوا باللغة التى تعودوا أن يعبروا بها عن عواطفهم وأفكارهم، وأن الكاتب الذى يحاول أن يجعل فلاحًا أميًّا يتكلم بلغة الدواوين الشعرية، يظلم فلاحه وقارئه، وسامعه، لأن اللغة تقدم مشاهد الحياة الحقيقية التى تسترتحت ثوبها الخشن كثيرًا من فلسفة الشعب فى الحياة وأمثاله.(٨٤)

وقد جاءت الحوارات فى الرواية ناقلاً أمينًا لثقافة البيئة الريفية، فتبين منها مفهوم المُجمل والمجمع الثقافى للمجتمعات الصغيرة، التى تحمل تجانسًا إقليميًا واحدًا فى اللغة التى تعبر عن المُنتج اللغوى المميز لأهل القرى، والذى

يتدفق بأمثالهم، وعاداتهم فى الاستخدام اللغوى المحلى، المغلق فقط على مثل هذه القرى الصغيرة، مما جعل لغتهم مكونا مختلفا، نتيجة تفاعل الإنسان مع بيئته وموروثاته، فأشار الاستخدام اللغوى إلى الانتماء البيئى إلى القرية، وهذا ما أطلقت عليه الجغرافيا الثقافية: "السمة الثقافية "التى تميز سكان القرى، نتيجة الممارسات الخاصة بهم.

"فدرست الجغرافيا الثقافية هذا التفاعل بين الإنسان، والانتماء الإقليمى أو البيئي من خلال ما يسمى "**السمة الثقافية**": وهى إحدى الجوانب المعقدة للممارسات الروتينية (العادات والتقاليد)، التى تشكل مجموعة ثقافية معينة، فتكون سمة للبشر والشعوب مثل العادات فى الزواج أو فى المأكل والمشرب أو الأمثال.[٨٥]

تُعزز الجغرافيا الثقافية الوعى الإيجابى بعمق الترابط بين مفهوم النطاق الجغرافى المحدد بهويةٍ خاصةٍ، تحمل مجموعة من الأنشطة والعادات، تسم هذا الإقليم بلغةٍ خاصةٍ، تعد من المميزات الثقافية له، أو السمة الثقافية لهذا المجتمع.

السمة الثقافية:

تتحدد السمة الثقافية فى الرواية من خلال مجموع العادات والتقاليد فى كل مُعطيات القرية الاجتماعية، والثقافية التى نشأت من الممارسات المُعتادة فى مجتمعٍ محددٍ مكانيا وبشريا، اعتاد على ثقافةٍ خاصةٍ به، شكلت مجموع المُنتج الثقافى له، ولعل الأمثال المعروفة فى القرية المصرية، تُجسد نمطا من أنماط السمة الثقافية فى القرية، استند القعيد على هذا التراث الشعبى للقرية، ليكون حجة سردية فى الحكى والحوار . "فاستناد الكاتب إلى لغةٍ معينيةٍ، أو لغة محلية، تعمل بدورها فى العمل الفنى كحجةٍ وثائقيةٍ توثق السرد، وتشير إلى أنماطٍ لغويةٍ، تحكمها معايير اجتماعية لطبقات من المجتمع."[٨٦]

وقد حملت رواية (القعيد) هذا البعد الثقافى أو السمة الثقافية لمجتمع القرية فى قرية (الدهرية) بمركز إيتاى البارود، والذي عبر عن الانتماء إلى ثقافة الأمثال، التى تحمل أبعادا كثيرة من الحياة. أهمها ثقافة التملك للأرض، التى ظهرت فى استخدامهم اللغوى، محملة بالأمثال المتوارثة عن الأرض.

فأشارت لغة السرد والحوار إلى السمة الثقافية لمجتمع القرية.

<u>يقول السارد:</u>

"منذ أن جئنا إلى الدنيا والعمدة ابن عمدة ومن نسل عمدة، وأما نحن فقد خلقنا لكى ننكفئ على الفأس"[٨٧]

ويقول: إن الإصلاح سيملكنا الأرض.

- مصيبة أخذ الأرض منا.

تدخل العمدة:

لن تطرد من الأرض مهما حدث.[٨٨]

ويقول: الفلاح يَشِمُ رائحة الفلاح مثله.[٨٩]

ويقول: "ضربة على الباب جعلتنى أقول: ليرتاح الناس إذن. كان الكل يتكلم عن "مصرى" كيف يتفوق ابن رجل فقير؟ من أين يأتيه الذكاء؟ عمن ورث العقل؟ قالت لى أم مصرى: إن الكعكة فى يد اليتيم تبدو أمرًا عجيبًا.[٩٠]

ويقول مستندا على بعض الأقوال المتوارثة:

"كان والدى يقول أن الناس صنفين: أولاد الناس الذين يمتلكون الأرض، وأولاد الكلاب الذين لا يمتلكون."[٩١]

يستمد الخطاب الروائى معطياته الدلالية من أشكال الحوار، التى تقوم على مبدأ التفاعل بين الواقع والثقافة العتيقة عن الأدوار والشخصيات، المحددة فى هذا الحقل البيئى - والمحصورة فى نسقٍ ثقافى يميّز بين طبقات

المجتمع فى القرية المصرية. أشارت تسميات اللغة والحوارات السابقة مثل "قوانين الإصلاح – العمدة – الأرض – مصرى – الخفير – الفلاح – الكعكة فى يد اليتيم .. وغيرها من الكلمات التى قام عليها بناء النص اللغوى فى الرواية إلى لغة القرية، وخصائصها التى تميّزها، وتكشف عن أطوار الحياة ومستويات البشر، وأفكارهم، التى تضمنت سمة ثقافية لم تتغير، بالرغم من تغيّر الأحداث، اكتسبت هذه السمة الثقافية أبعادا جمالية مكتسبة، ومرتبطة بمسعى البشر الدائم فى القرية لأن يعرّفوا بواقعهم الطبيعى والاجتماعى، محاولين تغييره بقدر ما يستطيعون للوصول إلى الأرض: السمة الطبيعية والجيوستراتيجية، التى شكلت سمة ثقافية أساسية فى مجتمع القرية فى مصر بصفةٍ عامةٍ، تتوحّد فيها كل المكونات الواقعية والبشرية والنفسية، لتنفرد بالصفة الجمالية فى الرواية، وتمثل فى السرد ومستويات الحوار "السمة الثقافية".

فأحالت اللغة إلى هذه المرجعية الثقافية والإنسانية التى تجسدت فى مستويات الحوار، ومحكيات النص الروائى عن طريق التكثيف والتواتر، ثم الاستغراق فى لغة الأرض، تلك التى حملت جوهر الحوارات و ثقافة القرية الأرض على مرّ الأزمان.

فجاءت الحوارات السابقة حاملة لغة الأرض: السمة الثقافية البارزة فى الرواية، "إن استعارة الراوى للغةٍ معينةٍ، ومزجها فى أحداثه، ناسجًا منها نمطًا أساسيًا متصاعدًا فى السرد، إنما ليقدم من خلالها مستوياته الاجتماعية والثقافية، التى تُعطى الوقائع صورة حيّة لهذ الواقع."[٩٢]

اختزلت مستويات السرد: الحكى والحوار صورة معبرة عن لغة القرية.

فقدمت لغة الحوار والحكى عن الحياة الاجتماعية، وصورة الأرض سمة ثقافية بارزة فى لغة القرية، تعبر عن عملياتٍ معرفيةٍ تكاد تكون واحدة، لأنها مصحوبة بواقعٍ واحدٍ، يقع فى حيّز الوعى الإدراكى لدى الشخصيات، فيشكل سمة ثقافية واضحة فى الحكى والوصف.

الحكى والحوار والوصف:

اعتمدت الرواية على الحكى والحوار بين الشخصيات، واعتمدت أيضًا على الوصف التفصيلى للأماكن والطبيعة فى الريف، "فيقدم الوصف التفصيلى للأماكن والطبيعة، صورًا متنوعةً لمنظوماتٍ ذهنيةٍ مختلفة، توضح مدى ارتباطها بالمكان."[٩٣] قدمها الوصف والحوار والحكى.

يقول السارد:

"خضرة الحقول وقت الربيع".[٩٤]

"اقتربت من **الأرض**".[٩٥]

"قانون الإصلاح الزراعى من توجد لديه مساحات زائدة من **الأرض**".[٩٦]

ويقول: "لم تأخذ منا **الأرض** والجاه والسلطان".[٩٧]

ويقول: "ومادامت أرض العمدة عادت إليه".[٩٨]

ويقول: "إن كل مهمته هى تنفيذ الحكم الصادر ويستحسن تسليم **الأرض** بالتى هى أحسن".[٩٩]

ويقول: "اتضح لنا أننا سنسلم **الأرض** برغبتنا أو رغماً عنا"، سندفع حياتنا ثمناً للأرض.[١٠٠]

ويقول: قال: إن هناك أعداء للعمدة ، تحركوا ضده بعد أن رجعت **الأرض** إليه.[١٠١]

احتوت لغة الرواية على الكثير من المعطيات الوصفية والحوارية التى تشير إلى "الأرض"، وعمق ثقافتها فى مجتمع القرية، وارتباطها بالوعى الداخلى للشخصية.

فاستطرد الخطاب هذه الأقوال الحوارية عنها، وعن بعض الأقوال المأثورة، كما جاء: الأرض العزّ والجاه، والفلاح يشم رائحة الفلاح.

فكشفت مستويات الحوار والمحكيات المتنوعة عن هذه "السمة الثقافية "التى تأملتها اللغة، بكل أبعادها الواقعية، والتخيّلية المنتزعة من حياة القرية؛ لذلك غلب على لغة الرواية الملفوظات التى تشير إليها، وإلى سيرورتها فى حياة الواقع الريفى، والتى بُنيت على جغرافيا الإدراك والإحساس، للارتباط الأثيرى بين الريفى وحياته وأرضه.

يقول السارد:

قمت أنا ومصرى. عدنا إلى البيت مبكرين عن كل يومٍ، أحسستُ بالغرابة، تعودت أن لا أترك الحقل إلا بعد أن تتوه ملامحه فى عتمة المساء، خيّل إلىّ أن الأشجار والقنوات والمساحات السمراء التى تبدو من الأرض تعاتبنى على تركى لها فى هذا الوقت المبكر.[١٠٢]

لم يتوفر الوجود الإدراكى لصورة الأرض عند حدودها الطبيعية فى وعى الشخصية؛ وإنما كشف عن تقويم الذات المُدرِكة لصفاتٍ جماليةٍ للأرض، خلقها عالمهم، وتواجدهم الحىّ معها، والذى كان ثمرته تطور الوعى الداخلى لدى الشخصية بصلةٍ روحيةٍ، تأسس من خلالها المعنى الجمالى لصورة الأرض فى الرواية.

جسدته اللغة الحوارية، التى انبنت على السرد والحوار، كأهم مستويات التوظيف الفنى فى الرواية.

لقد مثلت صورة القرية المصرية فى رواية القعيد حدثًا هامًا فى تاريخها الواقعى والاجتماعى، مثّلَ فى وعى الكاتب حالة متفردة من الاهتمام به، وبكل تفصيلاته، ذلك الحدث الذى زلزل كيان القرية عقب قوانين الإصلاح الزراعى، على الرغم من إيجابياتها على الطبقة المالكة، إلا أنها ساعدت فى إعادة الرأسمالية، التى كانت موجودة مع المُلاك اللذين يمتلكون الأرض والقوت.

وبالاعتماد على جغرافيا القرية فى علاقتها بالكيان البشرى، قدم القعيد حدثه التاريخى فى قريته معتمدًا على التعريف الدقيق والمفصَّل داخل هذا التجمّع الصغير، الذى يعيش على موردٍ طبيعى يمدّه بالحياة والقوة، ويتشكل فى الأرض الزراعية.

ومن خلال جغرافيا الإدراك للعقول البشرية ركزت الرواية على اعتلاء دواخل الشخصية، واستقراء مدى أُنسها والتحامها "بالأرض"، وصورتها الجمالية التى شكلها الوعى الداخلى، فعبرت عن القيمة وخبرات الحياة والنفس، وبذلك تتحول الأرض من صورتها الواقعية إلى مفهومٍ جمالى يتأصل بداية من الواقع، ليكتشف فاعلياته فى الذات الإنسانية.

تأمل الكاتب هذه الأحداث فى رقابةٍ واضحةٍ منه، تُشعر المتلقى بوثوقية الحدث الروائى الذى تحتفظ به الذاكرة، وهذا كله يقودنا إلى حالةٍ من حالات "الصدق" فى رواية الحرب فى بر مصر، أو رواية القرية والإنسان، التى هى أشبه بسيرة حياة "مما يؤكد مفهوم الصدق، الذى يحاكى التجارب الحياتية الماضية، ويشير إلى أن الذات تتحدث عن سيرة حياتها أو تكتب هذه السيرة للذات الراهنة للراوى أو الكاتب"[١٠٣] الذى كتب بلغة القرية، فقدم لها مفهومًا جغرافيًا شاملاً، يعبر عن حدثٍ هامٍ فى تاريخ قريته، تكمن قوته فى هذه الأبعاد الجغرافية، التى صورت مجتمعًا قد لا يعرفه أحد، بسبب بُعده عن التجمعات الكبرى فى المدن، وقدمت الأهم من هذا كله، وهو ما حاول البحث إثباته، معنى جغرافيا الإدراك للعقول البشرية، والتى تقوم على رؤية تقييم الصورة، أو صورة الأرض فى الإدراك الإنسانى بها، "فالمكان له أثره فى التكوين النفسى، وخاصة إذا كان له وجوده الأساسى فى حياته، هذا الوجود الذى يُفرز التناقضات الاجتماعية على المستوى المعيشى والنفسى، والأخلاقى، فيحمل المكان من خلال هذا كله الوعى الداخلى بأهميته والارتباط به فى السلوك الخارجى، والوعى الداخلى."[١٠٤]

وقد تجسد المكان أو الأرض فى جغرافيا القرية، التى أفرزت له حالة خاصة، تعبر عن جغرافيا الإدراك أو الإحساس فى الرواية، فتبرز للأرض دورًا جديدًا فى إدراكها: دورًا منوطًا بتطور العلاقة الجمالية بين الذات والأرض، فتقدم جغرافيا الإدراك فى الرواية تعريفا جماليًا للعلاقات النفسية بين الأرض والإنسان، يتمثل بدايةً فى التعرُّف على المكونات والخصائص الطبيعية للأرض، وارتباطها بأنماط السلوك البشرى المختلفة، ثم تقييم هذه العناصر من خلال وقعها النفسى الذى يضفي على الأرض صفة الحياة والهوية.

خاتمة البحث وأهم النتائج:

استطاع القعيد أن يتأمل وظيفة الأدب فى الحياة، وأن يضع لنفسه رؤية خاصة تجاه الواقع الاجتماعى، لا تخرج عن تلبية الحاجات الإنسانية، وإشباعها من خلال الإبداع، فامتطت روايته "الحرب فى برّ مصر" صهوة الواقع، أو تلك الفترة التاريخية التى كتب فيها القعيد روايته، والتى انفتحت على سلبيات الواقع وانعكاساتها على الإنسان، فاستهوته هذه الأفئدة المتعطشة إلى المساواة والعدل، فاتجه إليها معبرًا عنها، وعن كل تفصيلاتها الواقعية والروحية، مستندًا إلى خبراته التى تنبع من القرية، وتتداخل مع نسيجها، لأنه خير مُمثلٍ لكنهها وجوهرها، فبثّ كل هذه الأشياء فى روايته، مما جعل الدعوة إلى التجديد فى هذا الواقع القروى الذى يقوم على الثنائيات المتضادة، رؤية هادفة فى الرواية، تؤكد دور الأدب فى تلبية الحاجات الإنسانية على مرّ العصور، ودور الرواية فى مسيرتها الفنية المتميزة، والتى برعت فيه منذ تفاعلها مع قضايا الإنسان، وقوتها المنبثقة من آفاقها المتلونة، التى تتفتح على الواقع الإنسانى، فترصد لحظاته بكل دقةٍ، وتتابع علاقاته بواقعه.

فجسدت الرواية منذ نشأتها الحياة المصرية، وأثرت معجمها الفنى والدلالى بعبق التاريخى، والشعبى والاجتماعى ... ثم الجغرافى، الذى ساعدها بدوره فى البحث على استيعاب موضوع له أصالته وقيمته الحضارية والثقافية، فى تقديمه للقرية المصرية بجوّها وروحها، وكذلك تكويناتها المادية والبشرية.

وقد تفاعل يوسف القعيد مع كل هذه العناصر، فأثرى معجمه الروائى بثقافة القرية المصرية، وعبر عنها فى كل تجلياتها الواقعية، التى تناغمت مع وهجه الفنى، وذاته الأسيرة لقريته، فكانت رؤيته لواقعها فى تلك الفترة البعيدة، ليعبر دون زيفٍ أو خداعٍ عن قريته فى كل أحوالها.

فاستندت الأحداث إلى الخريطة الجغرافية لقرية القعيد، فقدم مفهومًا جديدًا لعالم القرية فى السرد المعاصر، يشير إلى جغرافيا الإدراك، أو نظرية الأرض اللابديهية: أى التى لا تُحدد بقيمتها الجغرافية فقط؛ بل تحدد فى مفهومٍ اشملٍ من ذلك، يعبر عن صورتها فى الإدراك والوعى الذاتى، الذى يُنتج لها مفهوما شاملا، يحتوى الذات بكل انفعالاتها.

النتـائج:

- ارتباط الجغرافيا بالفن الروائي.
- تُعد الرواية شهادة وثائقية على أبعاد تلك الفترة التاريخية، بعد قوانين الإصلاح الزراعي.
- قدمت " الأرض" صورة للوعي بالمكان ودلالته، و النموذج الجمالى فى القرية المصرية، وذلك من خلال الربط بين الإدراك الخارجي والداخلي، وارتباط مفهومها بالتحولات على مستوى الواقع والشخصيات.
- أسهم بعض الجغرافيين المعاصرين فى وصف الأبعاد الانفعالية عند الإنسان وربطها بالطبيعة الجغرافية للأماكن، مثل: الدكتور: جمال حمدان، وكتابه المتميّز "عبقرية المكان"، والدكتور فتحى أبو عيانة فى أعماله عن الجغرافيا البشرية، والتى منها "مشكلات سكانية معاصرة"، وكذلك الأسبانى: خوان بينيتوا فى مقالته "عن جغرافيا الإحساس، أو نظرية الأرض اللابديهية، شكلت أفكارهم رؤية متميّزة عن علاقة الأرض

بالإنسان، علاقة حميمية نفسية، تقوم على العلاقة الفكرية والاجتماعية والثقافية بالمكان، والإحساس بوجوده داخل النفس.

وأخيرًا: تكمن أهم نتيجةٍ فى البحث فى المفهوم الجغرافي الجديد الذى قدمه (القعيد) من خلال جغرافية القرية بكل مكوناتها، للوصول إلى مفهوم جغرافيا الإدراك فى الرواية، والتي قامت على مفردات: (التعرُّف، الإدراك، التقييم)، ثم المفهوم الجمالى للأرض، واستراتيجيتها الجديدة، والتى تكمن فى صورتها المختلفة عن صورتها الطبيعية والمناخية، صورة تتشكل فى الوعى الداخلي، فتعطيها اللابديهية، ومعانى الجمالية، التى جسدت العلاقة بين هذا الكيان المادي والإجتماعي بكل معطياته، والتحامه بالكيان البشري.

وجسدت مفهومًا للجمالية عند (القعيد) فى بحثه عن حقيقة "الجمالية" فى القرية من خلال التمسك بالقيمة التى تُمثل الكيان البشري، والتمرّد من أجل تحقيقها، فالدعوة إلى التغيير كان أهم ما يُميز الجمالية عنده، وذلك من خلال: الموقف التاريخي "الحدث"، والمثير: " الأرض"، والحافز: "الرؤية الجمالية، ومحاولة التغيير"، تتفاعل كل هذه المكونات، لتوجِد التغيير، الذى يحقق للإنسان ما يسعى إليه.

فحملت الرواية رؤية الكاتب للجمالية أيضًا، والتى رآها فى التغيير.

فعكست (الجمالية) عنده كل القوى الاجتماعية فى القرية فى محاولاتها للتغيير، تلك التى يسعى إليها يوسف القعيد فى عمله الروائى فى تلك المرحلة الرأسمالية التاريخية فى حياة القرية، فحاول أن يخلق المثل الأعلى للجمال فى محاولاته للدعوة إلى التغيير فى هذه المرحلة الكاملة فى حياة القرية فى ذلك الوقت، فخلق صلة جمالية حقيقية بين الوجود البشرى وعالمه الطبيعى، لا تتبدى هذه الفرصة إلا فى محاولات التغيير للحفاظ على قيمته الجمالية: "الأرض"، التى ترتبط بالحياة والإنسان.

المصادر والمراجع.

١- يوسف القعيد ، رواية الحرب فى بر مصر ، الطبعة الخامسة، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩١م.

المراجع العربية :

٢- جمال حمدان ، شخصية مصر الوسيط .دراسة فى عبقرية المكان ، ط. القاهرة الهيئة العامة للكتاب ٢٠١٣م.

٣- حسن بحراوى . بنية الشكل الروائى ، ط. المركز الثقافى العربى بيروت ، الدار البيضاء / ١٩٩٠م.

٤. حمدى السيد . الرؤية السياسية فى الرواية الواقعية فى مصر ١٩٦٥: ١٩٧٥م .ط: مكتبة الآداب القاهرة (د.ت).

٥- سرديات الرواية العربية المعاصرة . صلاح صالح . ط: المجلس الأعلى للثقافة .القاهرة ٢٠٠٣م .

٦. سيزا قاسم .بناء الرواية .ط.الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٤م

٧. شاكر عبد الحميد .الحلم والرمز والأسطورة . ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م .

٨- شوقى بدر يوسف . الرواية والروائيون دراسات فى الرواية المصرية . ط. الأولى . مؤسسة حورس الدولية الإسكندرية ٢٠٠٦م.

٩- صلاح فضل .شفرات النص " دراسة سيمولوجية فى شعرية القصّ والقصيد " .ط: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .الهرم .١٩٩٧م ،

١٠- عبد الرحمن أبو عوف . الرؤى المتغيرة فى روايات نجيب محفوظ ط. الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٢م.

١١. عبد المحسن طه بدر .الروائى والأرض .ط:الثالثة دار المعارف مصر ١٩٨٣م

١٢. عبد الفتاح الحجمرى .عتبات النص (البنية والدلالة).ط: الأولى منشورات الرابطة .الدار البيضاء .المغرب ١٩٩٦م

١٣. عزالدين إسماعيل .التفسير النفسى للأدب . ط:الرابعة مكتبة غريب القاهرة.

١٤- فتحى أبو عيانة . البحث الجغرافى روافده وقواعده . ط. الأولى دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ٢٠١٧م.

١٥- كامل عبد المالك . رؤى العالم المتغيرة ط. الأولى دار مصر المحروسة القاهرة ٢٠٠٨م.

١٦- محمد جهاد إسماعيل . التحليل الجغرافى للأدب ط. الأولى ليليت للنشر والتوزيع الإسكندرية ٢٠١٤م.

١٧- محمد سويرتى . النقد البنيوى والنص الروائى . ط. دار أفريقيا الشرق – الدار البيضاء ١٩٩١.

١٨- محمد مندور . النقد والنقاد المعاصرون ط. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . ٢٠٠٤م.

١٩- مداخل إلى علم الجمال الأدبى ومقدمة في نظرية الأدب .عبد المنعم تليمة .ط: مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م

٢٠ . مصطفى الضبع .استراتيجية المكان فى السرد الروائى المعاصر. ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٨م

٢١- منهج الواقعية فى الإبداع الأدبى . ط: مؤسسة مختار للطباعة والنشر.

٢٢- نبيلة إبراهيم . فن القصة . ط. مكتبة غريب.١٩٩٥م

٢٤- هدى عبد الغفار. جماليات المكان فى السرد المعاصر. ط. الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة ٢٠١٢م.

٢٥. ياسين النصر. الرواية والمكان . ط:الأولى دار الشئون الثقافية العامة بغداد . ١٩٨٦م

المراجع المترجمة

٢٦- أ. م فورستر "أركان القصة". ترجمة كمال عياد جاد . مراجعة حسن محمود . تقديم د/ ماهر شفيق فريد . ط. الهيئة العامة للكتاب.

٢٧- برنالد فاليط : النص الروائى (تقنيات ومناهج) ترجمة : رشيد بنجدو ، ط. المشروع القومى للترجمة المجلس الأعلى للثقافة . باريس ١٩٩٢م.

٢٨- بون آرون والآن فيالا . سوسيولوجيا الأدب ، ترجمة : محمد على مقلد ، مراجعة : د/ حسن الطالب ، ط. دار الكتاب الجديد.

٢٩- جان ستارو بنسكر. النقد والأدب ، ترجمة : بدر الدين القاسم الرفاعى ، ط. وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٦م.

٣٠. جيرار جينيت وآخرون . نظرية السرد . ترجمة ناجى مصطفى . ط:منشورات الحوار ١٩٨٩م

٣١- خوان ببنيتوا آراثت ، وصوفيا بيجابيناس (المفهوم الجغرافى لمدينة القاهرة) فى ثلاثية نجيب محفوظ ، ترجمه عن الإسبانية د/طايع أحمد طايع . مجلة ضاد . تصدر عن اتحاد كتاب مصر شتاء ٢٠١٢م. العدد الرابع عشر.

٣٢- غاستون باشلار. جماليات المكان ، ترجمة : غالب هلسا ، ط. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت لبنان ١٩٨٤م.

٣٣- والاس مارتن . نظريات السرد الحديثة ، ترجمة / حياة جاسم محمد ، ط. المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٩م.

المراجع الأجنبية :

34 Places and Regions in Global Context: Human Geography. by: Paul L. Knox and Sallie A. Marston. 13 February 2007, Publisher : Pearson / Prentice Hall, New Jersey, USA.

الهوامش والإحالات:

١) الرواية والروائيون دراسات فى الرواية المصرية،شوقى بدر يوسف ، الطبعة الأولى مؤسسة حورس الدولية الإسكندرية ٢٠٠٦م ، ص ٥١.

٢) المرجع السابق ، ص ٥٩.

٣) المفهوم الجغرافى لمدينة القاهرة فى ثلاثية نجيب محفوظ ، تأليف : خوان بينيتوا أراثت ، وصوفيا بيجابيتاس، ترجمه عن الإسبانية د./ طايع أحمد طايع ، مجلة ضاد ، مجلة فصلية أدبية متخصصة يصدرها اتحاد كتاب مصر شتاء ٢٠١٢م، العدد الرابع عشر، ص١٢١.

٤) مداخل إلى علم الجمال الأدبى ومقدمة في نظرية الأدب عبد المنعم تليمة طبعة مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م ص:١٢.

٥) التحليل الجغرافي للأدب تأليف محمد جهاد إسماعيل ، الطبعة الأولى ، ليليت للنشر والتوزيع الإسكندرية ٢٠١٤م ، ص ١١.

٦) المرجع السابق ، ص٤٥.

٧) التحليل الجغرافى للأدب ، ص ٦٦.

٨) المرجع السابق.

٩) سوسيولوجيا الأدب ، تأليف بون آرون ، والآن فيالا ، ترجمة : د/ محمد على مقلد ، مراجعة : د/ حسن الطالب ، طبعة دار الكتاب الجديد ص ١١٣.

١٠) الرؤى المتغيرة فى روايات نجيب محفوظ عبد الرحمن أبو عوف ، طبعة الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٢م ، ص ٩٨.

١١) الرؤية السياسية فى الرواية الواقعية فى مصر (١٩٦٥ م- ١٩٧٥م حمدى حسين طبعة مكتبة الآداب القاهرة (د.ت) ص:٢١٧

١٢) الرواية ص : ٨.

١٣) الرواية ص ١٠

١٤) الرواية ص ١١.

١٥) شفرات النص (دراسة سيمولوجية فى شعرية القصّ والقصيد) د.صلاح فضل طبعة (عين) للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية الهرم ١٩٩٧م ص.٢٠٢

١٦) الرواية ص ٢٣

١٧) الرواية ص٣٣

١٨) الرواية ص٧٠

١٩) الرواية ص ٣٢

٢٠) الرواية ص: ٥٣، ص:٥٤

٢١) الرواية ص ٥٤

٢٢) الرواية ص١١٠

٢٣) منهج الواقعية فى الإبداع الأدبى د.صلاح فضل طبعة مؤسسة مختار للطباعة والنشر .القاهرة .ص:٤٠

٢٤) الروائى والأرض عبد المحسن طه بدر . الطبعة الثالثة دار المعارف مصر١٩٨٣ .ص: ١٤

٢٥) الرواية ص ٧

٢٦) الرواية ص٢٣

٢٧) الرواية ص ٨

٢٨) الرواية ص ٣٦

٢٩) الرواية ص٩٢

٣٠) الرواية ص ٣٠

٣١) الرواية ص ٣١

٣٢) الحلم والرمز والأسطورة شاكر عبد الحميد .طبعة الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٨م ص: ٣٤٤.

٣٣) الرواية .ص ٤٩ ، ص: ٥٣.

٣٤) التفسير النفسى للأدب د.عزّ الدين إسماعيل الطبعة الرابعة مكتبة غريب القاهرة . ص:٢٤١
٣٥) الرواية ص ٥١
٣٦) الرواية ص ٥٧
٣٧) الرواية ص ٦٥
٣٨) الرواية ص ٧٥،٧٧
٣٩) الرواية ص ٥٨
٤٠) بنية الشكل الروائى حسن بحراوى ، ط المركز الثقافى العربى بيروت ، الدار البيضاء ١٩٩٠م ، ص ٣٠.
٤١) رؤى العالم المتغيرة "دراسة فى الاتصال الثقافى للمجتمعات الحدودية" ، كامل عبد المالك ، الطبعة الأولى دار مصر المحروسة ، القاهرة ٢٠٠٨م ، ص ٦٤ .
٤٢) نظريات السرد الحديثة والاس مارتن ، ترجمة حياة جاسم محمد ، طبعة.المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٩ م، ص ١٩٥
٤٣) الرواية ص ١٢
٤٤) الرواية ص ١٥
٤٥) الرواية ص ١٨
٤٦) الرواية ص ٧٦
٤٧) الرواية ص ٥٦
٤٨) الرواية ص ٧٦
٤٩) الرواية ص ٩٣
٥٠) الرواية ص ١٠٢
٥١) فن القصة نبيلة إبراهيم طبعة مكتبة غريب ١٩٩٥م، ص ١٤٠.
٥٢) جماليات المكان فى السرد المعاصرهدى عطية عبد الغفار طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ٢٠١٢م، ص ٥٤ ، ٥٥.
٥٣) الرواية ص ١٢
٥٤) الرواية ص ١٥
٥٥) الرواية ص ٢٢
٥٦) الرواية ص ١١٠
٥٧) البحث الجغرافى وروافده وقواعده د.فتحى محمد أبو عيانة الطبعة الأولى دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ٢٠١٧ م ص ٢٣.
٥٨) استراتيجية المكان فى السرد الروائى المعاصرمصطفى الضبع طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة .١٩٩٨م ص: ١٠٦
٥٩) الرواية ص ١١
٦٠) الرواية ص ٥٩
٦١) الرواية ص ١٠١
٦٢) الرواية ص ١٠٨
٦٣) الرواية ص ١٢٢
٦٤) مجلة ضاد ، (مرجع سابق) ، ص ١٢٢.
٦٥) شخصية مصر الوسيط (دراسة فى عبقرية المكان) ، د/ جمال حمدان . ط . القاهرة الهيئة العامة للكتاب ٢٠١٣م . ص١١١
٦٦) الرواية ص ٧
٦٧) الرواية ص ١٩
٦٨) جماليات المكان غاستون باشلار ترجمة: غالب هلسا طبعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ١٩٨٤م. ، ص ٩ .
٦٩) أركان القصة ، تأليف إ.م فورستر، ترجمة كمال عياد جاد ، مراجعة حسن محمود ، تقديم د.ماهر شفيق فريد ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١ م . ص ٤٥
٧٠) الرواية ص ٨

٧١) الرواية ص ١٢
٧٢) الرواية ص ١٣
٧٣) الرواية ص ٣٠
٧٤) الرواية ص ٣٤
٧٥) عتبات النص (البنية والدلالة) عبد الفتاح الحجمرى الطبعة الأولى منشورات الرابطة .الدار البيضاء .المغرب ١٩٩٦م ص.١٧
٧٦) الرواية ص ٧
٧٧) الرواية ص ١٣٥
٧٨) الرواية ص ٧
٧٩) الرواية ص ٢٩
٨٠) الرواية ص ٩١
٨١) الرواية ص ٥٣
٨٢) الرواية ص ٥٨
٨٣) النص الروائى "تقنيات ومناهج" برنالد فاليط ترجمة : رشيد بنجدو ، طبعة المشروع القومى للترجمة المجلس الأعلى للثقافة باريس ١٩٩٢ ، ص ٥٦.
٨٤) النقد والنقاد والمعاصرون، محمد مندور، طبعة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٤م ، ص٣٦–٣٧.
85) Places and regions global contest: Human Geography. Fourth Edition. by: Pauil. Knox and Sallie A. Mares ton 13 February 2007. Publisher: Pearson prentice Hall, New Jersey. U.S.A., P. 40
٨٦) الرواية العربية روجر آلان ترجمة حصة إبراهيم المنيف طبعة :المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ٢٠٠٣م ص:١٩١
٨٧) الرواية ص ٦٢
٨٨) الرواية ص ٦٩
٨٩) الرواية ص ٣٤
٩٠) الرواية ص ٧٤
٩١) الرواية ص ١٨
٩٢) سرديات الرواية العربية المعاصرة صلاح صالح . طبعة المجلس الأعلى للثقافة .القاهرة ٢٠٠٣م .ص:٢٦ .
٩٣) بناء الرواية سيزا قاسم طبعة الهيئة العامة للكتاب مكتبة الأسرة ٢٠٠٤ م ص: ١٠٥
٩٤) الرواية ص ١١
٩٥) الرواية ص ١٤
٩٦) الرواية ص ١٧
٩٧) الرواية ص ١٩
٩٨) الرواية ص ٣٢
٩٩) الرواية ص ١٢
١٠٠) الرواية ص ٩٢
١٠١) الرواية ص ٥٦
١٠٢) الرواية ص ٥٨
١٠٣) النقد والأدب، جان ستاروبنسكى ، ترجمة بدر الدين القاسم الرفاعى، ط. وزارة الثقافة دمشق، ١٩٧٦م ، ص ٧٩.
١٠٤) الرواية والمكان ياسين النصر الطبعة الأولى دار الشئون الثقافية العامة . بغداد ١٩٨٦م .ص: ١١٨